روايات غادة

دجون هاردي

قدرنا معاً

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

دار العلم للجميع

بيروت - لبنان

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

غادة

قدرنا معاً

دجون هاردي

في طريقها الى جزيرة سيلان، كانت كاميلا تفكر بخطيبها الغني صاحب الأراضي الواسعة الذي لم تره من قبل...

لكن جافيه لم يكن في استقبالها لدى وصولها، كما وأن جو منزله كان خانقاً وغامضاً. لكن يجب أن تتشجع، لقد خُلق جافيه لها وخُلقت له. انها تشعر بذلك وستقاوم بكل قواها لتكسب حب زوجها.

- ١ -

صباح أحد أيام شهر شباط ١٨٧٧، كانت كاميلا تقف على متن الباخرة التي تنقلها من انكلترا، تنظر بشرود الى البحر المترامي حولها. أليس القدر هو الذي شاء ان تكون جريره سيلان موطنها الثاني؟ بين ساعة وأخرى لترى ولأول مرة الرجل الذي ستصبح زوجته.

منذ طفولتها، اعتادت كاميلا على فكرة أن القدر ربط مصيرها بمصير جافيه دي سيلفا بلانتاين. انه بالنسبة لها أمير الاسطورة ابن الأب الانكليزي والأم

البرتغالية الذي تحيط به هالة رومنسية.

سيلان! هذا البلد الذي استعمرته قبائل هندوأوروبية قبل المسيح بخمسة قرون يعرف بالسنسكريتية باسم سيريلانكا أي الجزيرة الرائعة.

كانت والدة كاميلا قد توفيت أثناء ولادتها ثم تبعها والدها الصناعي الثري اثر حادث صيد فنشأت كاميلا عند جديها لأمها الكولونيل واللايدي سامتر.

كانت كاميلا قد نشأت في الهند وتنقلت بين البنغال ومداراس وأسام، فكانت الهند موطنها الأول الذي أحبته وقد ذرفت الفتاة الدموع الحارة عندما أعلنت لها جدتها انها سترسلها الى انكلترا لتنهي هناك دروسها ولتعتاد على حياة المجتمع الراقي.

لقد كانت عائلتا سامتر وبلانتاين على علاقة صداقة متينة. فالسيد ادغار بلانتاين كان يملك روح المغامرة فأنشأ مزارع الشاي الشهيرة في سيلان ثم تزوج من وريثة برتغالية ثرية وأنجب منها ثلاثة أولاد: الكبير جافيه والأوسط فيليب والصغيرة هيلين.

أتمت كاميلا دروسها في انكلترا ثم انخرطت في المجتمع الراقي بمساعدة جدتها بانتظار أن يحصل جدها على تقاعد من الخدمة العسكرية في الهند ويجتمع شمل العائلة من جديد.

أخذت الفتاة تتذكر كلام جدتها فانهمرت الدموع

على خديها.

«لو تعلمين يا جدتي كم أتشوق لرؤية جدي وللعودة الى الهند!».

«أفهمك يا عزيزتي، ولكن يجب أن تستغلي إقامتك هنا للتعرف جيداً على واجب الفتاة إلراقية قبل أن تلتقي بزوج المستقبل. لقد وصلت رسالة منذ يومين من ادغار بلانتاين. ان أغلى أمنياته هي في رؤية ابنه جافيه يتزوج منك، وهذه أغلى أمنياتنا أيضاً».

كانت كاميلا قد قامت بجولة على كل المدن الأوروبية الكبيرة وحيثما ذهبت كانت تتلقى عروض الزواج لكنها كانت تعتبر نفسها مخطوبة لجافيه بلانتاين فتقطع أمل كل طالبي الزواج منها وخاصة أولئك اللاهثين وراء ميراثها الكبير.

قبل سفرها ببضعة أيام، جلست مع جدتها تتحدثان.

«اذا تمكن والده من التخلي عنه لبضعة أيام ولم يكن بحاجة اليه في المزارع، قد ندعو جافيه للقائنا في مداراس».

«وماذا لو لم أعجبه؟».

«بجمالك هذا كيف تسألين؟ لا تنسي يا عزيزتي أن الزواج ليس طريقاً مزروعاً بالأزهار فقط ولا نزهة رومنسية تحت ضوء القمر. إنه اتحاد مخلوقين من أجل حياة مشتركة. بالنسبة للمرأة، الزواج رمز

التضحية...».

«وهل تجد المرأة مكافأة على التضحية في الحب؟».

«الحب لا يأتي دائماً قبل الزواج، يا ابنتي. انه يولد مع الحياة المشتركة بأفراحها وهمومها ومع انجاب الأولاد...».

في اليوم التالي، زارت كاميلا صديقتها وقضت معها وقتاً طويلاً في الثرثرة، لكن ما ان عادت ودخلت المنزل حتى شعرت بانقباض في قلبها وكأن شيئاً أسود يهدد مستقبلها.

«اوه، آنسة كاميلا!».

انها مربيتها فاني.

«ماذا هنالك، فاني؟» سألتها بقلق.

«الطبيب هنا، يريد التحدث اليك».

«ما الذي جاء بالطبيب؟ لقد تركت جدتي بخير، ما بها؟».

«انها الصدمة، آنستي! ها هو الطبيب».

تأملت كاميلا الطبيب بقلق بينما انسحبت فاني الى المطبخ.

«الأمر يتعلق بجدك» قال الطبيب باتز بعد تردد قصير. «لقد وصلت برقية أثناء غيابك... لقد توفي بالسكتة القلبية، تأثرت جدتك كثيراً بالخبر فاضطررت لإعطائها منوماً، انها نائمة الآن. عندما ستستيقظ

ستكون بحاجة لك. صحتها متدهورة».

ظلت كاميلا بجانب سرير جدتها طوال الليل تبكي بصمت لفقدان جدها الحنون. عندما استيقظت الجدة، حاولت كاميلا مؤاساتها.

«اوه، جدتي، لو انك بقيت الى جانبه!».

«ولكن يا عزيزتي، جدك يعاني من قلبه منذ زمن طويل».

«كان يجب أن نعود اليه! هل كنتُ بحاجة لحضور كل هذه الحفلات وللقيام بكل هذه الجولات بين المدن الأوروبية؟».

«هيا، كاميلا، الفتاة ابنة العائلة العريقة، يجب عليها أن تتعرف على العالم وتقاليده. أنا وجدك لم نشأ التقصير بواجبنا هذا تجاهك، يجب أن نفكر بمستقبلك».

من غرائب القدر أن يوحد الموت أيضاً بين عائلتي سامتر وبلانتاين، لأن خبر وفاة ادغار بلانتاين سبب أزمة قلبية لجدها. ولقد كانت آخر أمنية لإدغار ـ كما كتبت زوجته في رسالتها بعد أيام ـ هي في رؤية ابنه البكر جافيه يتزوج من حفيدة صديقه ريشاد سامتر.

مع الرسالة، وصلت هدية لكاميلا هي عبارة عن عقد من اللؤلؤ الثمين وعبارة عن طلب للزواج.

«لماذا لم يكتب جافيه رسالة لي؟» سألت الفتاة

جدتها.

«لو كانت الظروف مختلفة، لجاء جافيه بنفسه وقدم لك هذه الهدية وطلبك للزواج. لكن والدته تقول في رسالتها أنه الوحيد القادر على إدارة المزارع بعد وفاة والده ويتمنى أن تذهبي الى سيلان لتتزوجا هناك».

«ولكن، جدتي، أنت لست قادرة على مرافقتي بهذه الرحلة الطويلة، ولا يمكنني أن أتركك!».

«اسمعي، يا ابنتي، لطالما رغبنا بهذا الزواج أنا وجدك. ولكن لا شيء يجبرك على ذلك. اذا كنت تريدين الزواج من جافيه وتلبية رغبتنا لا تنهمك بصحتي. فأنا سأقضي في لندن ما تبقى لي من حياة. سأكون مطمئنة أكثر عندما أعلم انك سعيدة بزواجك».

كل هذه الذكريات عادت الى رأسها وهي تتأمل حركة المرفأ. كانت فاني مربيتها ترافقها وقد أقفلت الحقائب استعداداً لمغادرة السفينة.

«آنسة كاميلا. هناك رجل يسأل عنك».

انتفضت كاميلا عند سماعها صوت مربيتها، ثم التفتت الى الخلف... انه هنا... تمالكت نفسها وأخذت نفساً عميقاً وابتسمت بهدوء ظاهري.

«آنسة مارش؟ آنسة كاميلا مارش؟».

الرجل الشاب الذي انحنى يقبل يدها طويل وقد لوحت شمس البلاد الموسمية بشرته، عيناه رماديتان

ويداه ناعمتان وبدلته البيضاء ناصعة تدل على انه عاطل عن العمل ولا يشبه أبداً مدير المزارع الشاسعة.

ابتسم الشاب لها بإعجاب ساخر فشعرت الفتاة فجأة بخيبة كبيرة وأحست بغريزتها أن هذا الشاب لا يمكنه أن يكون زوجها الذي كانت تحلم به.

«سيد بلانتاين؟».

«هو نفسه» أجابها بمرح. «أنا فيليب بلانتاين. يسعدني التعرف اليك. هل كانت رحلتك مريحة؟».

جحظت عينا الفتاة اللوزيتان. فيليب؟ ولكنها...

«اذاً أنت لست جافيه؟».

«لا. ولكن، قولي لي، هل اعتقدتِ...».

«كيف يمكنني أن أعرف؟» قاطعته بحدة. «فأنا لم أرك ولم أره من قبل. بالطبع كنت أعتقد انه هو...».

«كنت تعتقدين أن الخطيب السعيد هو من سينتظرك شخصياً؟» قال ضاحكاً. «انت لا تعرفين شقيقي، آنسة مارش. يؤسفني أن أخبرك بأنك أمام منافس كبير: ان مئات الهكتارات من مزارع الشاي ستنافسك دائماً على قلبه...».

شعرت الفتاة بخيبة كبيرة. بعد كل هذا السفر الشاق يؤسفها أن تكتشف أن زوج المستقبل لم يكلف نفسه عناء المجيء لاستقبالها.

«إن كلامك صدمني، سيد» قالت له ببرود.

«يؤسفني ذلك... لكن كان من المستحيل على شقيقي أن يتغيب لبضعة أيام عن راتنغالا. ان أعماله كثيرة. بينما أنا وقتي ملكي ولا يلاحظ أحد غيابي».

«الا تساعد شقيقك في إدارة أعماله؟» سألته بفضول.

«هذا النوع من الأعمال لا يناسبني» أجابها ضاحكاً. «أنا بالكاد أستطيع التمييز بين أنواع الشاي. باختصار أنا بدون فائدة! لا يلجأون اليّ الا في المهام السخيفة...».

المهام السخيفة! أي أن الذهاب لاستقبال خطيبة أخيه مهمة سخيفة!.

رافقته كاميلا تتبعها فاني الى العربة. ظلت الفتاة صامتة تفكر بخيبتها وتتأمل السلاسل الجبلية المترامية والأودية والتلال الكثيفة الاشجار.

«نحن هنا في وسط سيلان» قال فيليب.

بعد قليل عبرت العربة حقولاً واسعة مغطاة بأشجار أوراقها الذابلة..

«انها حقول البن. بعد الأرز الذي كان المحصول الزراعي الرئيسي. بعض الاشجار أصيبت بنوع من الديدان الذي يقضي على محاصيل كاملة مما اضطر عدداً كبيراً من المزارعين لبيع أراضيهم، لكن والدي أدخل زراعة الشاي مجازفاً بماله وبإنتاجه حتى أطلقوا

عليه اسم المجنون بلانتاين...».

ثم أخذ فيليب الضحك دون أن يبدو عليه الاكتراث لما أصاب المزارعين من افلاس.

بعد الغروب وصلوا الى نوارا إليا ونزلوا في فندق صغير لكنه مبني على الطريقة الأوروبية.

ما ان دخلت كاميلا الى غرفتها حتى لاحظت أن فاني منزعجة جداً من فيليب هذا الذي لم تستلطفه أبداً.

«انت لا تستلطفينه على ما يبدو...!».

«انه لا يوحي لي بالثقة، لطالما سمعت أن والده كان يهوى المغامرات النسائية بالرغم من إرادته الحديدية».

«لحسن الحظ، لن أتزوج منه» قالت لها كاميلا مبتسمه. «لقد جئت من أجل شقيقه الأكبر».

«أتساءل كيف هو جافيه هذا؟».

«أنت تلومينه لأنه لم يأت لاستقبالي بنفسه؟ ألم تسمعي بأن أعمال المزارع تشغله..؟».

«لا يمكنني أن أعطي رأيي به قبل أن أتعرف عليه».

تابعت العربة طريقها في صباح اليوم التالي فدهشت كاميلا بكل هذه المناظر الطبيعية الخلابة وخاصة هذه القرية الجميلة ببساطتها.

«يا لها من قرية خلابة!».

«اوه!» قال فيليب باحتقار. «هؤلاء السنغاليون

يرفضون العمل في المزارع مما يضطرنا لإحضار الأيدي العاملة من الهند فنؤمن لهم المسكن والمأكل. . . . لقد أوشكنا على الوصول، بعد قليل ستشاهدين المنزل»

ازداد اضطراب الفتاة وهي تقترب أكثر وأكثر من قدرها. . . أخذ فيليب يحدثها بأمور كثيرة وهي تحاول الاصغاء اليه باهتمام. علمت أن والدته لا تزال تحتفظ باسم عائلتها البرتغالي وأن شقيقته هيلين ليس لديها سوى رغبة واحدة هي الزواج.

ما ان اقتربت العربة حتى دهشت كاميلا أمام هذا المنزل الكبير المؤلف من طابقين والذي تلمع نوافذه تحت أشعة الشمس، وهو ينتصب وسط حديقة واسعة مزروعة بأنواع رائعة ومختلفة من الازهار المنسقة بعناية بالغة.

«اذاً، ما رأيك؟» سألها فيليب وهو يساعدها على النزول من العربة، بينما أسرع خادم يحمل الحقائب.

«موقع المنزل جميل جداً، يا الهي! لم يسبق لي أن رأيت حديقة جميلة كهذه!».

«آه، الحديقة، انها اختصاص أمي. انها تهوى الزهور» ثم قدم لها ذراعه وصعدا الى الشرفة الأمامية.

دخلت كاميلا البهو الكبير بخطى حازمة مع أن قلبها يدق بسرعة كبيرة. لكن الصمت السائد في المنزل زاد من توترها.

«أمي!» صرخ فيليب بفارغ الصبر. «لقد وصلنا، أين أنت؟».

فُتح أحد الأبواب المطلة على البهو بهدوء وخرجت منه فتاة نحيفة تشبه فيليب كثيراً.

«صه» قالت وهي ترفع يدها الى فمها. «والدتي مصابة بالصداع».

«ولكن يجب أن نهتم بكا. . . بالآنسة مارش بدلاً منها. آنسة كاميلا، أقدم لك شقيقتي هيلين».

تأملتها هيلين بجفاف من رأسها حتى أخمص قدميها فمدت كاميلا لها يدها.

«نادني كاميلا» قالت لها بمودة. «سنصبح شقيقتين، أتمنى أيضاً أن نصبح صديقتين».

«لم أكن أدري أن الزي الامازوني موضة هذه الأيام. هنا، لا نرى آخر أزياء الموضة كما في انكلترا» أجابتها هيلين بجفاف أيضاً.

«عندما أرتاح سأريك كل ما أحضرته معي من ملابس، بإمكان خياطتك أن تنقل الموديلات اذا أعجبتك».

«اوه، هيلين!» تدخل فيليب. «لقد قطعنا كيلومترات طويلة، لا تنسي هذا! ستتحدثان بأمور الموضة فيما بعد! الآن، أعتقد أن كاميلا بحاجة للراحة قبل موعد العشاء».

«قلت لك أن أمي مصابة بالصداع، فهلا أخفضت صوتك؟» قالت هيلين ثم التفتت نحو كاميلا. «تعالي معي، لو سمحت».

صعدت الفتاتان الدرج تتبعهما فاني وأحد الخدم يحملان الحقائب.

«ستكون هذه غرفتك حالياً ريثما تنتقلين الى جناح سيد المنزل» قالت لها هيلين وهي تسبقها الى غرفة واسعة تطل على مزارع الشاي المترامية.

«هل أعجبتك الغرفة؟».

«انها جميلة، شكراً. أتمنى أن يزول صداع السيدة لوسيا بسرعة».

«انها تعاني من الصداع باستمرار» أجابتها هيلين باختصار جاف. «نحن نتناول العشاء في الساعة السابعة عندما يعود جافيه من المزارع. ربما يمكنك الانضمام الينا في الصالون قبل ذلك بقليل...».

ساعدتها فاني على تبديل ملابسها وتركتها لترتاح قليلاً. أغمضت كاميلا عينيها وهي تفكر بلقائها الوشيك مع زوج المستقبل الذي لطالما حلمت به منذ طفولتها.

في الساعة السادسة، ارتدت كاميلا ثوبها الرمادي الضيق عند صدره والطويل بتنورته الواسعة. سرحت لها فاني شعرها وساعدتها على وضع العقد اللؤلؤ حول جيدها.

«أنت رائعة يا ابنتي. أتمنى أن يكون هذا الزواج يستحق كل هذا الجمال. آه، أشعر بوجود شيء غريب في هذه العائلة، لكني لا أستطيع تمييزه بعد...».

كانت كاميلا تقف أمام النافذة، فصرخت فجأة:

«يا الهي! لابد أنه هو!».

كان هناك رجل قد نزل عن حصانه ويتجه بخطوات سريعة نحو المنزل. بالنظر الى حذائه الطويل المغبر والى جاكيتته المتسخة، تدرك على الفور أنه من المزارع. كان يحمل بيده تبعة قديمة. أما وجهه فيبدو عليه التعب الشديد. لابد أنه جافيه بلانتاين.

«يا له من رجل وسيم» تمتمت فاني. «لكنه يبدو متسلطاً. أعتقد أنه من الافضل لك عدم اغضابه».

ما ان اقترب الرجل أكثر حتى توقف لحظة ورفع نظره نحو النافذة التي تقف كاميلا خلفها. ارتعشت الفتاة لأنه فاجأها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة ما لبث بعدها أن أدار رأسه بلا مبالاة ودخل المنزل.

تنفست الفتاة بعمق استعداداً للمواجهة. ان ابتسامة الرجل كانت خالية من أي احساس وتعكس لا مبالاة مطلقة. ولكنها ما ان رأته حتى اهتز وتر في قلبها وأحست احساساً غريباً بأنها تعرفه منذ مدة طويلة. نظرت الى نفسها مرة أخيرة في المرآة.

www.rewity.com ARAYAHEENA

«سأنزل».

«ولكن لا يزال الوقت باكراً» اعترضت فاني.

«قالت هيلين أن أنضم اليهم قبل السابعة بقليل».

نزلت كاميلا الدرج وعندما وصلت الى الأسفل كان باب الصالون نصف مفتوح فوصل اليها همسات من الداخل.

«ولكن، جافيه، على الأقل بدل ملابسك!» قال صوت انثوي ضعيف.

«لا أرى سبباً لذلك، أمي. كل مساء، في مثل هذه الساعة، أعود من المزارع فأشرب كأساً أستحقه بعد ساعات العمل الطويلة. متزوجاً كنت أم عازباً، لماذا أغير عاداتي؟».

حبست كاميلا أنفاسها وتسمرت مكانها على الدرج. هذا الصوت الرجولي الساخر لابد أنه صوت جافيه.

«أعلم أن زوجة مزارع عليها أن تعتاد على روتين العمل ومتطلباته» قال الصوت الانثوي بمرارة. «ولكن هذه الفتاة وصلت لتوها، أنا لم أقابلها حتى الآن، وأتمنى أن يكون استقبالك لها جيداً».

«لا تقلقي، أمي. أنا لم أنس واجباتي كرجل نبيل. الآن، بعد أن شربت كأسي، سأصعد لأبدل ملابسي».

عندئذ فتح الباب على وسعه وكاميلا لا تزال واقفة مكانها فوجدت نفسها أمامه وجهاً لوجه. انه رجل

طويل أسمر. رفع حاجبيه وتأملها بجفاف.

«آسفة لأنني سمعت حديثكما» اعترفت بخجل وارتباك. «أتمنى أن لا تكون مضطراً لتغيير عاداتك بسببي».

«في هذه الحالة، أعتقد اننا سنتفاهم جيداً، اعذريني» قال دون أن يبعد نظره عنها ثم صعد الدرج مسرعاً.

هذا اللقاء القصير كان خالياً من أي رومنسية. يبدو أن جافيه لم يكن متحمساً للقاء زوجة المستقبل، كما يبدو انه يحاول أن يكون لطيفاً معها فقط ارضاءً لوالدته.

«تفضلي معي الى الصالون» دعتها سيدة المنزل. «لا يزال الوقت باكراً لتناول العشاء، هذا يمنحنا متسعاً من الوقت للتعارف».

لابد أن السيدة بلانتاين كانت جميلة جداً في شبابها، انها تملك نفس الثقة بالنفس كجافيه، سمراء البشرة، شعرها قصير أسود تتخلله خصل بيضاء، لكن رغم محافظتها على جمالها يبدو عليها التوتر.

«أتمنى أن يكون صداعك قد زال، سيدتي».

«الصداع يلازمني، وعندما يشتد أحبس نفسي في الظلام وأحتاج الى الهدوء التام».

«سأحاول أن لا أنسى هذا... للحقيقة، أعجبتني

حديقتك كثيراً».

أشرق وجه سيدة المنزل وأخذت تحدثها بإسهاب حول زراعة الأزهار وطريقة العناية بها.

بعد قليل انضم اليهما فيليب الانيق في بدلته الرمادية، ثم تبعه جافيه الذي كان قد بدل ملابسه وحلق ذقنه، دقائق أخرى ثم نزلت هيلين وقد بدلت ملابسها أيضاً وبدت أقل جفاء .

«أترغبين بمرافقتي الى الشرفة لرؤية مغيب الشمس؟» اقترح عليها جافيه بلطف.

«بكل سرور» أجابته وسارت الى جانبه.

جلسا على الشرفة على كنبة مريحة وحمل لهما أحد الخدم شراباً منعشاً.

«الغروب هو أفضل اللحظات بالنسبة للمزارعين» قال بسخرية خفيفة... وانطلق يحدثها عن حرارة الشمس في النهار.

انه حتى لم يسألها عن صحتها ولا عن أخبار عائلتها ولا عن رحلتها. كان يكلمها وكأنه يعرفها منذ مدة طويلة.

«أحب منظر الغروب كثيراً» قال جافيه متنهداً. «لكنني أفضل الخروج مع الفجر عندما يكون الجميع لا يزالون نياماً» وتابع حديثه عن مزارع الشاي.

عند سماعه يتحدث عن المزارع تشعر بأنه ينظم

قصائد شعرية، فأدركت كاميلا حبه للأرض وللعمل وفهمت ما قاله فيليب عن هذه المنافسة بينها وبين الأرض.

كاميلا فتاة ذكية عرفت على الفور انه عليها كي تكسب حبه أن تثبت له حبها للأرض والزراعة، على كل حال، لقد وقعت هي أيضاً تحت سحر هذه الأرض.

«كان العشاء لذيذاً فعلاً».

«لدينا طباخ ماهر أحضره زوجي من أسام» شرحت لها السيدة لوسيا بعد العشاء. «أخشى أن يسرقوه منا».

«لال لا يتركنا أبداً» أكد لها جافيه بكل ثقة. «لا تنسي أن والدي اهتم كثيراً بابنته موهيني وهو لا يعرف كيف يرد الجميل».

«لست أدري ما فائدة ارسال فتاة من الأهالي البلديين الى مدرسة ارسالية» قالت هيلين باحتقار.

«موهيني ابنة لال الوحيدة» أضاف جافيه موجهاً كلامه الى كاميلا. «لقد توفيت والدتها وهي طفلة، فأرسلها والدي الى مدرسة ارسالية لتتعلم. ولقد عادت مؤخراً وهي تعمل هنا في المنزل. هذا مؤسف حقاً لأنها فتاة موهوبة ولا يوجد عمل يناسبها في هذه الجزيرة».

«لو لم تكن متعالية لتزوجت وأنجبت أطفالاً ككل

التاماليين» قالت هيلين باحتقار واستخفاف.

«لا تنسي انها بنغالية والبنغاليون يحتقرون التاماليين» قال جافيه.

«آه» تدخلت كاميلا باهتمام. «اذاً هناك خلافات بين المجتمعين؟».

«نعم، ولكنها خلافات محدودة الآن. التاماليون يقيمون في المزارع مع عائلاتهم بينما يعيش السنغاليون في القرى. اعترف أن أشياء كثيرة تفرق بينهما. فالسنغاليون يتكلمون الهندو أوروبية المنحدرة من السنسكريتية بينما يتكلم التاماليون لغة الهند الجنوبية. كما وأن السنغاليون يدينون بالبودية بينما التاماليون هندوس».

«لكني أصر على انه لم يكن من الضروري انفاق كل هذا المال على هذه الفتاة...» قالت هيلين بحدة. «فكروا بي أنا، فأنا حتى الآن لم أذهب الى أوروبا!».

«اعلمي، هيلين، أن أوروبا لا تقدم ما هو أجمل مما هو في سيلان!» قالت كاميلا.

«أنا لا أتكلم عن جمال الطبيعة. ان كل ما يهمني هو الأمل بالعثور هناك على زوج. ولكن ما يدهشني، هو رؤيتك تأتين الى هنا لتجدي زوجاً لك. أتساءل...».

قطعت هيلين كلامها عندما لاحظت انزعاج والدتها،

وفضلت كاميلا أن لا تجيب على تهكمها كي لا تزيد من هوة الكره بينهما.

في اليوم التالي، استيقظت كاميلا على صوت طرقات على بابها.

«تفضل» قالت معتقدة انها فاني.

لكن الفتاة التي دخلت تحمل لها كوب الشاي كانت هندية ترتدي ملابس أوروبية. انها نحيفة لكن وجهها جميل وعيناها واسعتان.

«الشاي، آنسة».

«لابد انك موهيني، ابنة لال؟».

«نعم، آنسة».

«أخبرني السيد بلانتاين انك درست في كولومبو».

«نعم، وهناك اعتدت على ارتداء هذه الملابس، للحقيقة، لا أرتاح بارتداء «الساري» الملابس الهندية التقليدية لا تريحني».

«أصدقك» قالت لها كاميلا بكل طيبة.

«لقد أحببت المدرسة كثيراً، أحب المطالعة. لقد أصبحت أعتنق الديانة المسيحية» اعترفت بفخر. «لكن والدي لا يزال معارضاً. بالنسبة له أنا مرتدة عن الدين».

وضعت الصينية أمام كاميلا ثم أضافت بأسف:

«يجب أن أتركك الآن، لدي عمل في المطبخ».

كانت كاميلا تدرك أن موهيني ذكية وجميلة، لكن ليس لديها اي مستقبل لإبراز مواهبها. أشفقت كاميلا عليها ووعدت نفسها أنها ستولي هذه الفتاة كل عناية واهتمام.

ما ان شربت الشاي، حتى نهضت من السرير وبدلت ملابسها ونزلت لتقوم بنزهة في الجوار. كانت دهشة الخادم الذي رآها كبيرة جداً، لأن الساعة لا تزال مبكرة جداً وأخبرها أن الجميع لا يزالون نائمين ولم يستيقظ إلا السيد جافيه الذي يتناول فطوره على الشرفة.

كانت كاميلا سعيدة جداً لأنها تعلمت اللغة الهندية في طفولتها، هذا يساعدها في التفاهم مع الخدم. اتجهت نحو الشرفة فوجدت جافيه على وشك التوجه الى المزارع. ما ان رآها حتى رفع حاجبيه بدهشة.

«يا الهي! أدائماً تستيقظين باكراً؟ عادة أنا الوحيد في هذا المنزل الذي يستيقظ باكراً».

«الطقس جميل، والمناظر أجمل، فلماذا نضيع الوقت في السرير؟».

«والدتي وشقيقتي لا تستيقظان قبل الحادية عشرة، أما فيليب فلا يستيقظ باكراً إلا اذا كان يريد القيام بنزهة على حصانه. بإمكانك مرافقته اذا أردتِ».

«أفضل مرافقتك أنت» قالت بهدوء.

«هذا مستحيل» أجابها بجفاف. «فأنا أخرج باكراً الى

الحقول ثم أذهب الى المصنع ثم الى المكتب. لدي أعمال كثيرة، ليس لدي دقيقة واحدة أضيعها في النزهات».

عضت كاميلا على شفتيها. فهي لا تريد أن تكون عبئاً عليه. كل ما كانت تريده هو أن ترافقه في جولته لتتعرف على حياة وعمل مزارع الشاي.

«يجب أن أذهب الآن» قال وهو يحمل قبعته. «الى اللقاء مساءً، أتمنى لك نهاراً جيداً».

أخذت تنظر اليه وهو يبتعد مسرعاً. منذ وصولها وهو يرفض أن يمنحها القليل من وقته الثمين ليتعرفا على بعضهما... الأمر ليس مشجعاً أبداً.

تفاجأ فيليب برؤيتها في مثل هذا الوقت المبكر وعرض عليها مرافقته بنزهة على الجياد، فوافقت على الفور. ان فيليب لطيف جداً معها لكن دهشتها ازدادت أكثر عندما لاحظت انه لا يلعب أي دور في إدارة أعمال العائلة.

«اوه، أنا لا أتحمل اي شيء يمت الى الزراعة بصلة. فقط لو أن جافيه يبيع الأراضي! كم كنت أتمنى لو أعيش في لندن!».

«أهناك أمل في أن يبيع؟».

«أبداً، للأسف. بالنسبة له راتنغالا أغلى من كل العالم، ولا يمكنه أن يرحل عن سيلان. لقد سئمت

www.rewity.com ARAYAHEEN

الحياة هنا، وأتوق للعيش كرجل نبيل في لندن. مع الأسف، توفي أبي المستبد الأول ونقل حبه للأرض لابنه البكر الذي يفني فيها حياته».

«ولكن ألست حراً في الرحيل؟ هل يمنعك جافيه؟».

«انه هو من يمسك بالإدارة المالية ويرفض اعطائي المال ويحثني على العمل. أما والدتي، فهي مثله، ترفض اعطائي مليماً واحداً، مع انها ثرية ورثت الكثير عن أهلها... اوه، كاميلا، ما رأيك لو تزوجتِ مني أنا بدل جافيه؟» سألها بلهجة المزاح، لكن سؤاله لم يعجب الفتاة التي اعتبرته كالفخ. يجب بأي ثمن أن تعيد هذا الشاب الى مكانه.

«اياك أن تتفوه بمثل هذه الحماقات مرة أخرى، فيليب» قالت له بلهجة حازمة. «هيا بنا نعود الى المنزل».

بعد الغداء، دعتها السيدة لوسيا لشرب الشاي معها في صالونها الخاص.

«يجب أن نتحدث بأمر الزواج، يا ابنتي. أنت هنا لتتزوجي من جافيه، ولا أرى سبباً للإنتظار طويلاً».

«نعم، ولكن الا تعتقدينه أنه من الافضل ان تتركي لي ولجافيه بعض الوقت للتعارف أكثر؟» أجابتها بلطف وأدب.

«بعض الوقت؟ لماذا؟ ماذا تريدين أن تعرفي؟»

سألتها السيدة لوسيا بحدة وقد بدأت يداها ترتجفان. «انتما مخطوبان منذ الطفولة. أم أن الفكرة جديدة عليك؟».

«أنت محقة، سيدتي. فأنا أعتبر نفسي خطيبته منذ الطفولة. ولكن هذا لا يمنع من أن...».

«ابني مستعد للزواج منك على الفور» قاطعتها لوسيا. «اعلمي أن سيلان تعج بالفتيات اللواتي يرغبن بالزواج منه».

«لا أشك بذلك» أجابتها بهدوء رغم جرح كبريائها. «اعذريني، كلانا يرغب بالشيء نفسه وأنا جئت فقط للزواج منه».

«لقد بدأت أشعر بالصداع» قالت السيدة وهي تضع يدها على جبينها. «لن تتعرفي على ابني إلا بعد الزواج، فهو مشغول جداً وليس لديه وقت للغزل. على كل حال، في بلادنا، البرتغال، يحصل كثيراً مثل هذا الزواج. الحب يأتي عادة بعد الزواج. لابد أن جدتك كشفت لك عن بعض نواحي الحياة الزوجية. انت تفهمينني، اليس كذلك؟ تزوجي جافيه، كاميلا. تزوجيه بسرعة. هذا هو الحل الوحيد».

فكرت كاميلا بصمت. لوسيا ليست على خطأ، على كل حال. فابنها مشغول جداً، كما وأنها سمعته يعلن أنه ليس مستعداً لتبديل عاداته من أجلها. انها تعرف أن

قدرها معروف منذ الطفولة ومكتوب لها أن تتزوج من جافيه، وهي ليست مستعدة لتغيير رأيها.

فعندما يتزوجان لن يتمكن من تجاهلها... احمر وجهها لهذه الفكرة. فهي تعرف انها جميلة وأن جافيه ككل الرجال. كل كبريائه سيذوب بين ذراعي زوجة مستعدة لتهبه كل شيء.

«حسناً، سأتزوج جافيه عندما تقررين. سأتركك الآن ترتاحين».

في المساء، وقبل العشاء، قال لها جافيه:

«أشعر أنني أسأت التعبير عندما رفضت اصطحابك الى المزارع صباحاً».

«لا، لكنني أنا أسأت التعبير. لم أكن أنوي إلهاءك عن اهتماماتك. كنت أرغب فقط بالتعرف على أعمال زراعة الشاي».

«أهذا يهمك حقاً؟» سألها بدهشة. «الشمس حارقة في المزارع، كما وأن المصنع يعج بالضجيج».

«أتجد أنه من الغريب أن أرغب بمعرفة مهنة الرجل الذي سأشاركه بحياته قريباً؟».

«بل أجد غريباً فكرة اهتمام امرأة بهذه الأعمال. ولكن اذا كنت تريدين القيام بجولة على المزارع، فأنا مستعد لاصطحابك بكل سرور. كوني جاهزة باكراً صباح غداً، لكن لا ترتدي ملابس أنيقة، المهم حذاء

طويل وقبعة واسعة».

«حسناً» قالت بسرور كبير وهي تحلم بأن يبدأ جافيه بالاقتناع بأنها ليست مجرد فتاة بلهاء لا يهمها سوى اختلاس النظر خلف النوافذ واستراق السمع خلف الأبواب.

في الساعة السادسة تماماً ظهرت كاميلا على الشرفة وهي تشعر بالاثارة وتحاول اخفاءها. وأخيراً ستزور المزارع والأهم انها ستكتشف شيئاً عن هذا الرجل الذي ستتزوجه قريباً.

أبدى جافيه اعجابه ببساطة ملابسها رغم أناقتها وبعد تناول الفطور اصطحبها الى الاسطبل حيث ينتظرهما جوادان مسرجان.

دهشت كاميلا بأبعاد الممتلكات المترامية أمامهما كبساط أخضر. كان العمال ينتشرون في الحقول، رجالاً ونساءً وأطفالاً يعملون جماعات جماعات تحت اشراف الوكلاء.

كان جافيه يتحدث مع العمال بلغتهم ويصدر الأوامر هنا وهناك وأخيراً، ساعدها على النزول عن جوادها ليشرح لها كيفية عمل المزارعين على القطاف.

«الأمر ليس بسيطاً كما يبدو لأول وهلة. القطاف يتطلب سرعة وبراعة، كما ترين انهم يختارون فقط البراعم والورقتين الأخيرتين بين السبابة والابهام...».

تأملت كاميلا باهتمام حركات العمال السريعة وهم يرمون بما يقطفونه في سلالهم المعلقة على ظهورهم.

«العمل شاق لكنه الوسيلة الوحيدة لإنقاذهم من الفقر والبؤس السائد في جنوب الهند. بعد قليل سأصطحبك الى قريتهم».

وجدت كاميلا صعوبة باللحاق به وأخذت تلهث. فتوقف مبتسماً ومد يده نحوها وقد رقت نظراته فاعتقدت الفتاة أنها قرأت فيها نوعاً من الاعجاب...

«أنت لا تفتقدين للنشاط، كاميلا، هذا لا يدهشني، فلطالما سمعت عن جدك وحيويته، يؤسفني جداً انني لم أتعرف عليه».

«حدثني عن والدك».

«كان أبي مغامراً بكل ما لهذه الكلمة من معنى. كان دائماً ينطلق الى الأمام غير مكترث بالعوائق والصعوبات. كان مقتنعاً بأن مستقبل سيلان يعتمد على الشاي، وأنا أيضاً متأكد أن اقتصاد الجزيرة كله سيقتصر على انتاج وتصدير الشاي».

«كيف توفي؟».

«لا أحد يعلم، لقد كان قوياً كالصخر، لم يعرف المرض أبداً في حياته. ذات صباح، وجدناه متوفياً في غرفته على سريره. ولكن، أرجوك، لا تفتحي هذا الموضوع أمام أمي، لا ضرورة لإثارة أحزانها».

«حسناً، جافيه، لن أفعل».

«لا أشك بذلك. ولكني فضلت أن أحذرك... لابد انك لاحظت توترها». ثم ودون أن ينتظر ردها غير الموضوع بسرعة.

سرت كاميلا كثيراً بزيارة المصنع المؤلف من طابقين، ولقد شرح لها جافيه كل تفاصيل العمل فيه.

«إن مختلف عمليات التيبيس واللف والتجفيف والغربلة تدوم أربع وعشرين ساعة. بعد التجفيف لمدة ليلة واحدة على الحصير، تُلف الأوراق ثم توضع في غرفة التخمير قبل أن تجفف مرة أخرى وتسحب عن طريق النخل. هكذا نحصل على أصناف عديدة من «البروكن» الذي يفضله الانكليز حتى مختلف أنواع «الدوتس» الناعم».

«الا تتوقف النوعية الجيدة على ارتفاع الأرض؟».

«بلى، وكذلك على رطوبة التربة، والآن، هيا بنا لنرى سير عمل الجهاز الجديد».

اتجها نحو رجل متوسط السن مغطى بالشحم يعمل حول آلة ضخمة تصدر ضجيجاً يصم الآذان.

«انها اليوم حاردة كالبغال» قال الرجل بيأس.

«دعها ترتاح قليلاً» نصحه جافيه بصوت مرتفع كي يتمكن من سماعه. «أريد أن أقدم لك الآنسة مارش».

أوقف العامل الآلة وابتسم بلطف وهو ينحني أمام

كاميلا.

«صباح الخير، آنسة مارش» قال بلهجة شمال انكلترا. «تسعدني زيارة الجنس اللطيف الى المصنع».

«سأحاول اقناع السيد بلانتاين باصطحابي معه دائماً» أجابت كاميلا بمرح.

«كانت الآنسة تريد التعرف على سير العمل، الآن، وبعد أن عرفت، لا أعتقد بأنها ستتردد غالباً الى المصنع».

اختفت ابتسامة الفتاة أمام لهجته الصارمة وظلت صامتة بينما انحنى الرجلان يفحصان الآلة. بعد دقائق، كانا قد وجدا العطل وعملا على اصلاحه. فدعاها جافيه الى مكتبه لشرب كوب من الشاي.

تبعته كاميلا الى مكتبه الذي يغص بالملفات على الرفوف.

«لم أكن أتخيل أهمية هذه الأعمال. انها مثيرة حقاً. شكراً لك لأنك اصطحبتني بهذه الزيارة» قالت له كاميلا وهي تشرب الشاي.

أخذ جافيه يضحك من كل قلبه. ولأول مرة لم يكن في ملامحه أي أثر للسخرية.

«ولكنك لم تري الا نصف الممتلكات، لدينا أيضاً مزارع بعيدة لا يمكنك حتى الوقوف فيها!».

«كم من الوقت يدوم موسم القطاف؟».

«من المنطقة، يقطفون الشاي طوال العام. هذا دون أن نتكلم عن العمليات الأخرى. أعتقد انك تفهمين الآن بأنني لست اجتماعياً كما يجب».

«كيف يمكنك القيام وحدك بكل هذه المسؤوليات؟» سألته بدهشة.

«لحسن الحظ، لست وحدي. لدي ماك الذي راقب سير العمل في المصنع. ولدي أيضاً مراقبون ممتازون ومعاون. لكن المعاون في اجازة الآن، لهذا ليس لدي متسع من الوقت لـ . . .» ثم قطع كلامه وتأمل وجهها الجميل.

«أنت لا تزالين صغيرة، كاميلا. أتعتقدين انك قادرة على العيش في راتنغالا؟ الحياة هنا ليست سهلة ولا يوجد وسائل للترفيه».

«لقد عرفت كل أنواع الترفيه في انكلترا، لكن الطفولة لا تستمر وأنا لا أرغب بالحياة الصاخبة بالحفلات والسهر».

«ماذا تتمنين اذاً؟» سألها بسرعة.

«أن أعيش حياة مستقرة وأن أكون مفيدة لمن هم حولي».

«بإمكان راتنغالا أن تقدم لك ما ترغبين به. كما لاحظت، الأمور تسير في المنزل على ما يرام وذلك بفضل لال بصورة خاصة. ولكن المنزل بحاجة لسيدة.

ان صحة والدتي للأسف... أخيراً.... ليست جيدة، كما وأن أعصابها تخونها أحياناً، فأرجو منك أن تكوني صبورة ومتعقلة».

«سأبذل قصارى جهدي» وعدته بصدق.

«الآن، اذا انتهيت من شرب الشاي، لنذهب. أريد أن أصطحبك لزيارة حي التاماليين».

بعد عودتها الى المنزل، دخلت كاميلا المطبخ وتعرفت على الطباخ لال. كانت قد رأت من قبل عند جديها طباخين هنود، لهذا لم تندهش عندما رأت طريقته الغريبة بإعداد الطعام.

استقبلها الطباخ بتحفظ وصمت.

«لقد سبق وتعرفت على ابنتك موهيني. انها هي من حمل لي كوب الشاي في الصباح».

«انها فتاة جيدة، ولكن للأسف، تفتقد للحكمة».

«أجدها لطيفة وذكية. هذا الصباح تحدثنا مطولاً أنا وهي حول عدة كتب».

«الثقافة الغربية» تمتم الطباخ. «لم يكن يجب عليّ أن أسمح لها بالتعلم في كولومبو. كل ما كنت أريده هو أن تتعلم القراءة والكتابة فقط، لا أن تترك دين آبائها».

يبدو انه حقاً غير راضٍ عن تعليم ابنته ولا عن تغييرها لدينها ولا عن تبديل عاداتها في اختيار

الملابس.

«نحن من الهندوس، آنسة مارش. ديننا هو الدين الوحيد الحقيقي. المسيحيون في الارسالية جعلوا ابنتي تفقد هويتها. لقد أصبحت عجوزاً، فمن سيهتم بها بعد موتي؟».

«أنا. لال» أكدت له كاميلا. «أعدك بذلك». لمحت على الفور في عيني الرجل شعاع أمل سرعان ما ولد الثقة بينهما.

هذا المساء، انسحب جافيه لبعض الوقت مع أمه الى غرفتها. لكن السيدة لوسيا لم تظهر بعد هذا الاجتماع. أما جافيه فقد عاد الى الصالون حيث كانت كاميلا برفقة هيلين.

«الأمسية جميلة اليوم. أترغبين كاميلا بالتنزه معي قليلاً في الحديقة؟».

نهضت كاميلا وقلبها يطير من الفرح ورمت شالاً على كتفيها.

كانت النجوم تتلألأ في السماء والهواء يحمل معه عطر أزهار الحديقة الفواحة، ومع ذلك، لم تجرؤ الفتاة على رفع نظرها نحو جافيه.

«أريد أن نتكلم عن الزواج» قال أخيراً.

هزت رأسها دون أن تجيبه.

«لقد تحدثت مع والدتي بأمر زواجنا، فاقترحت أن

www.rewity.com

يكون الموعد بعد اسبوعين، هل يناسبك الأمر؟».

بلعت الفتاة ريقها بصعوبة. ماذا! انه يتحدث عن زواجهما، عن اتحادهما المقدس جسداً وروحاً. لكن يبدو من حديثه وكأنه يتكلم عن صفقة شاي يشحنها الى كولومبو!.

«نعم» أجابته بصوت ضعيف.

«حسناً، أتمانعين اذا كان زواجنا بسيطاً؟ عقد القران في كنيسة «نوارا إليا» سيكون متعباً جداً لوالدتي. سنطلب من الكاهن فيلدنغ أن يأتي ليزوجنا في راتنغالا. كانت والدتي تريد أن تحضر كاهناً من كولومبو، لكني كنت متأكداً من انك تفضلين كاهناً انجليكانياً».

«أنت محق. وبما أن جدتي ليست موجودة، لا بأس من زواج بسيط».

تقدما ببطء في ممر ضيق بين الازهار والفتاة تفكر بهذا الزواج السريع. حتى أن جافيه لم يقل أية كلمة تظهر رغبته بالزواج منها.

توقف فجأة وتأملها بنظرات جعلت قلبها يرتجف في صدرها.

«حتى الآن، لم نتكلم إلا في التفاصيل الغير مهمة. ولكن يجب أن أقول لك بصراحة، كاميلا، كي لا أكون مخادعاً. أنت تتزوجينني فقط تلبية لرغبة جديك. ويبدو

لي أيضاً أن سحر الشرق جذبك. هل أنا مخطىء؟».

«لا» أجابته بعد أن أخذت نفساً عميقاً، لكنها للحقيقة لا تستطيع أن تعترف له الآن بما بدأت تشعر به نحوه من أحاسيس عميقة...

«ان اسبابي هي نفس أسبابك. بالاضافة الى أن صحة والدتي متأرجحة والمنزل بحاجة لسيدة شابة وكفؤة».

«أفهم...».

«هل أنت متأكدة؟» أضاف وهو ينظر الى عينيها مباشرة. «ان زواجنا سيكون زواج عقل، كاميلا، زواجاً عملياً. أنا لن أنتظر منك دلائل حب. من غير المفيد أن نتظاهر بأحاسيس لا يشعر بها أحدنا تجاه الآخر. لكن تفاهمنا واتفاقنا سيسمح لنا على الأقل بالعيش دون صدامات تحت سقف واحد. هل هذا واضح؟».

«تماماً» كذبت عليه لأنها كانت متأكدة انه فور زواجهما ستتبدد برودة جافيه وسيذوب حباً وحناناً.

على كل حال ان قبولها بهذه الشروط ليس خسارة، ففي الحب، الحيلة مطلوبة لكسب المعركة. ستعرف كيف تجعله يحبها طالما انها منحته قلبها منذ أن رأته.

أخذ الجميع يشاركون بالتحضيرات للزفاف، ولقد أصرت الدونا لوسيا على رؤية العروس مرتدية نفس ثوب الزفاف الذي توارثته عدة أجيال قبلها.

«انه بحاجة لبعض التعديلات البسيطة» قالت وهي تدور حول الفتاة. «لقد كنت نحيفة مثلك في الماضي... اوه، انتبهي لكل هذه الدبابيس» قالت لموهيني التي تجيد فن الخياطة والتي كانت تجلس على ركبتيها أمام كاميلا.

تأملت كاميلا نفسها في المرآة صحيح أن الثوب قديم لكنه يضفي عليها مسحة رومنسية. فوافقت على ارتدائه يوم زفافها كي تتمكن من اسعاد دونا لوسيا.

«أنت رائعة، آنستي» أعلنت موهيني وهي تتأمل نتيجة عملها.

أما هيلين التي ساعدت بوضع التاج اللؤلؤي الصغير على شعرها، فكانت تشعر بالغيرة والحسد.

«عند زواجي، سنضطر لإعادة توسيع هذا الثوب» قالت بلهجة جافة.

«لم نصل الى ذلك اليوم بعد» أجابتها والدتها.

«لماذا لا يحين دوري قريباً؟ على كل حال، كاميلا ليست أكبر مني بكثير».

«اسمعي، هيلين، أنا حالياً مشغولة بزفاف شقيقك، حتى يحين موعد زواجك سنفكر بأمر الثوب».

ساعدت فاني سيدتها على خلع ثوب الزفاف وارتداء ملابسها العادية. لكنها أعلنت لها عن عدم ارتياحها لهذا الزواج البسيط في كنيسة صغيرة وبدون مدعوين.

«هذا الزواج لا يليق بك، آنستي».

«ولكن الكاهن الانجليكاني هو الذي سيقوم بتزويجنا. نحن نحاول قدر الامكان عدم تعريض السيدة لوسيا لتعب السفر. المهم انني سأتزوج من جافيه».

«آه، أفضل أن لا تتزوجي منه، آنستي!» قالت مربيتها بيأس. «تخلي عن هذه الفكرة وعودي الى جدتك. ستفهمك بالتأكيد، فهي لا تتمنى تعاستك أبداً».

«لماذا تعتقدين أنني سأكون تعيسة معه؟» سألتها وقد نفذ صبرها.

«صحيح انه رجل أعمال ناجح ووسيم، ولكنه لا يحبك واذا كنت أنت تحبينه فهو سيدمرك. كان يجب أن أحتفظ برأيي لنفسي، لكنني أغار على مصلحتك».

لم تجبها كاميلا على الفور لأنها تعلم انها محقة بأقوالها هذه. نعم، جافيه لا يحبها، واذا ـ لسوء الحظ ـ لم يحبها أيضاً بعد الزواج، فإن لا مبالاته نحوها ستدمرها شيئاً فشيئاً. ومع ذلك، فإنها لن تفسخ الخطوبة لأن هذا باعتبارها اعتراف بالفشل حتى قبل أن تجرب وتحاول. لا، لن ترحل عن هذا البلد الذي تعلقت به ولا عن هذا الرجل الذي أصبح الآن يملك قلبها وكل أحاسيسها.

«تعجبني صراحتك، فاني، كما وأن كلامك

صحيحاً، لكن نصيحتك جاءت متأخرة، أنا أحب جافيه وسأتزوج منه».

حل يوم الزفاف أخيراً وكان يوماً مشرقاً، فاستيقظت الفتاة وهي تشعر بالاثارة وتنتظر بفارغ الصبر وصول موهيني مع فنجان الشاي الصباحي.

سمعت جافيه يرحل على حصانه باكراً كالمعتاد. اليوم عيد بالنسبة لراتنغالا، لكن لا يزال أمام جافيه بعض المهام للقيام بها.

تنهدت وتقلبت في سريرها وهي تفكر بالغد في نفس الساعة، ستكون في الغرفة الأخرى نائمة بجانب زوجها...

انتابتها رعشة هزت كل أوصالها وتخيلت نفسها بين ذراعيه... ان خلف ملامحه الخارجية الحازمة لجافيه يخفي طبيعة حنونة، هذا ما تشعر به ولهذا ليست خائفة. بل هي تحلم بأن تمنح نفسها للرجل الذي تحبه وكلها ثقة بأن علاقتهما ستتخذ منحنى مختلفاً.

بعد تناول الفطور، انهمكت فاني وموهيني بمساعدة العروس على ارتداء ملابسها.

«انظري الي جيداً وتعلمي كيف أسرح شعر كاميلا».

راقبت موهيني حركات فاني بكل انتباه.

«انت رائعة اليوم، آنستي» قالت لها فاني والدموع تتلألأ في عينيها. «لو كان بإمكان جدتك أن تراك الآن

لكانت فخورة جداً بك».

نزلت كاميلا الدرج بكل حذر في ثوبها الأبيض المنتفخ بالجيبون وأكثر أناقة من أي يوم سابق وشعرها الذهبي مسرح بعناية الى الخلف. كان فيليب ينتظرها بالأسفل وقدم لها ذراعه بينما استقبلتها هيلين بابتسامة غير معتادة وأسرعت ترفع ذيل ثوبها.

«انت رائعة جداً يا عزيزتي» قال فيليب بإعجاب حقيقي. «ان أخي رجل محظوظ حقاً».

كانت السيدة لوسيا تنتظرها مع الكاهن، لكن من خلف المنديل، لم تكن عينا كاميلا ترى إلا قامة جافيه الواقف خلف المذبح في الكنيسة الصغيرة. التقت نظراتهما للحظة فاعتقدت الفتاة انها رأت رقة في نظراته المنصبة عليها. لكن، وبسرعة، استعاد وجهه المتعالي حزمه.

تمت مراسم الزواج كما في الأحلام.

«على الانسان أن لا يفرق ما وحده الله» ردد الكاهن بينما كان جافيه يدس الخاتم الالماس في اصبع عروسه.

عاد الجميع ليشربوا الشمبانيا في المنزل بصحة العروسين ويقدموا لهما التهاني.

«أتشعرين بأنك أصبحت مختلفة؟» سألتها هيلين بفضول.

«بالتأكيد لا» أجابتها كاميلا مبتسمة. «حتى انني لا أشعر بأنني متزوجة. أنا...».

«أجلي طرح هذا السؤال عليها للغد» تدخل فيليب مبتسماً.

احمر وجه كاميلا فأدارته متجنبة النظر الى زوجها.

ضحك فيليب ووجه ملاحظة للعريس الذي لم يقبل زوجته حتى الآن.

«كفى!» أجابه جافيه بصوت جمد الدم في عروق كاميلا ونجح في الزام فيليب بالصمت.

«عند وصولي الى راتنغالا» قالت السيدة لوسيا فجأة. «أصر والدك على أن نقوم بجولة وأنا لا أزال بثوب الزفاف على حي التاماليين كي يتمكن جميع العمال من رؤيتي. وعندما سألته اذا كانت هذه عادة متبعة عند المزارعين قال: ستكون، ابتداءً من هذا اليوم».

مد جافيه يده نحو كاميلا.

«حسناً، لنحترم هذه العادة، أتريدين؟».

هكذا جابت العروس بثوبها الدانتيل الأبيض أزقة القرية متأبطة ذراع زوجها، فتجمهر الأطفال والنساء والرجال حولهما ليروا هذه المخلوقة القادمة من بلاد الأحلام.

هذا المساء، كان العشاء مميزا وقد بذل لال أقصى جهوده لإعداد وليمة الزفاف. لم يسبق لكاميلا أن رأت

دونا لوسيا بمثل هذا المرح، فكانت بكل فرح تروي لقاءها الأول بادغار بلانتاين والحفلة التي تبعت زفافهما.

تساءلت كاميلا وهي تصغي اليها كيف كانت العلاقة الزوجية بين ادغار ولوسيا؟ كان فيليب قد لمح الى أن والده كان قد تزوج من أمه زواج مصلحة مادية، فعائلة السيدة لوسيا كانت ثرية ثراءً فاحشاً. ولكن هل أحبها بعد الزواج؟ العكس صحيح ويبدو واضحاً من كلام السيدة عنه حتى بعد وفاته.

أوشك هذا النهار الطويل على نهايته فانسحبت كاميلا الى غرفة الزوجية الواسعة التي يتوسطها سرير كبير صنع في كولومبو.

ساعدتها فاني على خلع ثوبها الأبيض ثم انسحبت بعد أن لاحظت شحوب وجه سيدتها المفاجيء.

ارتدت كاميلا قميص نوم أبيض رقيق ووقفت أمام النافذة تتأمل أنوار القرية المجاورة حيث لا يزال العمال يحتفلون بزفاف سيدهم.

وقع خطوات خلفها جعلها تنتفض. لقد دخل جافيه الغرفة.

«أنا آسف لأنني فاجأتك» قال بلطف وهو يغلق الباب وراءه. «لقد طرقت الباب لكنك لم تسمعي...».

اضطربت الفتاة ورغم ذلك ابتسمت له.

«كنت أستمع الى موسيقى التاميلا...» ثم سكتت لتسيطر على توترها. لم تكن تدري ماذا تقول وقد أصبحا وحدهما في غرفتهما لأول مرة. لابد أنه سيضمها بين ذراعيه القويين ويحملها الى سرير الزوجية. وأخيراً ستستسلم بدون تحفظ لقبلاته ولمساته. سيجعلها امرأته بعد قليل... احمر وجهها فأغمضت عينيها.

«جئت لأتمنى لك ليلة هادئة» قال جافيه بكل هدوء.

فتحت عينيها وتأملته بدهشة.

«ولكن...» قالت بصوت ضعيف. «أنا لا أفهم...».

أشار بيده الى باب في الزاوية يفصل بين غرفتين.

«انها غرفة تابعة لهذا الجناح. في تلك الغرفة سأنام أنا. لها باب آخر على الممر، لكنني كل مساء سأدخل من هذا الباب الأساسي حفاظاً على المظاهر».

«المظاهر؟» رددت بذهول وخيبة.

«سبق وتكلمنا بهذا الأمر سابقاً، كاميلا. واتفقنا على أن زواجنا زواج عقل، أم انك نسيتِ؟».

«لا» قالت ببطء محاولة تمالك نفسها. «لم أنس. ولكن هل يجب أن أفهم أن علاقتنا ستبقى دائماً سطحية؟».

«نعم» أجاب بابتسامة مريرة. «لا تشتكي، كاميلا. أنت تملكين الآن كل ما تحسدك عليه كل النساء: الاسم المحترم والأمان المادي والزوج الذي لن يطالبك بأي شيء».

ثم أمسك يدها ورفعها الى شفتيه وكأنها غريبة أمامه.

أحست كاميلا برغبة قوية كي تضمه اليها، لكن نظراته الباردة منعتها.

نظر اليها مرة أخيرة دون أن ينطق بأية كلمة ثم دخل الى الغرفة المجاورة وأقفل بابها وراءه.

في البداية، لم تشعر كاميلا بشيء. لقد شلتها الصدمة. ثم فجأة، أعمتها الحقيقة. لقد تبدد حلمها الجميل. جافيه لا يحبها ولا يفكر بإمكانية ذلك.

هل ستتمكن من العيش معه على هذا الشكل؟ كيف يمكنها أن تعيش بدون الحب الذي يملأ قلبها؟ تذكرت حديثهما ذلك المساء: «زواج عقل». «لن أطالبك بأية دلائل حب وعاطفة، لا ضرورة للتظاهر بعواطف لا يكنها أحدنا للآخر».

هذا واضح تماماً. لكنها لم تكن تريد أن تفهم، ولم تكن تستمع إلا الى قلبها. لقد خدعت نفسها وها هي الآن تدفع ثمن جنونها.

رمت نفسها على السرير وقد انقبض قلبها وشعرت

بأنها ضائعة بعداً عن جافيه محرومة من حبه ومن لمساته. زوجها لا يحبها، وكذلك لا يرغب بها. وبينما كانت الموسيقى لا تزال مرتفعة في القرية المجاورة، احتفالاً بليلة عرس كاميلا بلانتاين، كانت العروس غارقة في يأسها عاجزة عن النوم.

استيقظت في الصباح فوجدت صينية الشاي بجانب السرير. لابد أن موهيني أحضرتها ولم تشأ ايقاظ سيدتها.

جلست كاميلا تشرب الشاي وتتأمل أشعة الشمس في غرفتها الجديدة وتتذكر ليلة الأمس. لا، لن تستسلم للتشاؤم، فأمامها الوقت وشبابها وجمالها. لن تعتبر أن كلام جافيه يعبر عن موقف نهائي، فهي تحبه وستسحره بكل أسلحتها التي وهبتها اياها الطبيعة حتى يفتح لها قلبه وروحه.

لم تشأ اضاعة الوقت بالوحدة، فرنت على الجرس طالبة فاني، لكن بدون جدوى. رنت من جديد لكن أحداً لم يأت. بعد لحظات دخلت موهيني.

«آه، موهيني! أين فاني، هل رأيتها هذا الصباح؟».

«لا، لكني سأذهب للبحث عنها في غرفتها».

«نعم، لو سمحت».

بعد دقائق قليلة، عادت موهيني مقطعة الأنفاس.

«تعالي بسرعة، آنستي. يبدو أن فاني مريضة،

مريضة جداً» رمت كاميلا روباً خفيفاً على كتفيها وركضت بسرعة خلف موهيني.

كانت فاني ممددة على سريرها تتنفس بصعوبة، تفتح عينيها وكأنها لم تعرفها، حرارتها مرتفعة جداً.

«انها تشتعل» قالت كاميلا بقلق كبير. «أرجوك، موهيني، أحضري لي الماء البارد وقطعة قماش، سأحاول أن أخفض حرارتها، اطلبي من الخدم أن لا يدخلوا هذه الغرفة، قد يكون مرضها معدياً. سأهتم بها بنفسي».

أحضرت موهيني ما طلبته منها كاميلا ثم قالت لها بأن السيدة لوسيا تريدها على الفور.

«لن أترك فاني الآن، لتنتظر السيدة الكبيرة».

«انزلي أنت وقابلي السيدة كي لا تثيري غضبها، وأنا سأهتم بفاني شخصياً».

أسرعت كاميلا لمقابلة حماتها التي كانت متوترة جداً وفيليب يحاول تهدأتها. يبدو أن خبر مرض فاني انتشر بسرعة في المنزل.

«كاميلا، ما هذه الملابس؟» سألتها لوسيا بدهشة وحدة.

«اوه، أنا... لم يتسع لي الوقت لتبديل ملابسي!» قالت كاميلا متلعثمة أمام نظرات فيليب.

«لا يجب أن تتجولي في المنزل بهذه الملابس»

www.rewity.com

أنبتها حماتها بحدة. «والآن، ماذا سمعت؟ هل حقاً مربيتك مريضة؟».

«نعم، أرجو أن تعذريني، يجب أن أعود اليها».

«أبداً» صرخت حماتها. «لا أريد أن تلتقط زوجة ابني العدوى».

«هذا واجبي، لطالما تفانت فاني في خدمتي، لن أتركها تتعذب دون أن أحاول مساعدتها».

«لقد أرسلت بطلب جافيه، انتظري عودته على الأقل».

استسلمت كاميلا رغم اصرارها على عدم اهمال مربيتها..

بالرغم من مشهد ليلة الأمس، بينهما، شعرت كاميلا بالراحة عند وصول جافيه. ان وجوده يطمئنها. استمع جافيه لكاميلا وهي تصف له عوارض فاني، فطمأنها وطلب من فيليب أن يذهب الى المدينة لإحضار الطبيب بأسرع وقت ممكن.

«اوه، جافيه، ولكنني شربت كثيراً ليلة أمس ولا يمكنني الخروج الآن، يجب أن أستحم أولاً ثم أتناول فطوري».

«لا تتعب نفسك» رماه جافيه بحدة واحتقار، «سأذهب بنفسي». ثم التفت نحو كاميلا. «حاولي أن تخففي حرارتها، لن أتأخر. أرجوك، لا تقلقي» قال

مبتسماً بحنان وهو يضم يدها بين يديه ثم اختفى بسرعة.

ظلت كاميلا وموهيني بجانب المربية طوال النهار الى أن هبط الليل، فخفت أنفاس فاني وأغمضت عينيها. أسرعت موهيني تفتح الانجيل وتقرأ بعض الفصول.

«لا» اعترضت كاميلا. «لن تموت، لن تموت».

ابتسمت موهيني بحزن وربتت على كتف سيدتها.

«لقد توفيت» قالت عندما لاحظت توقف أنفاس فاني. «لم يعد بإمكاننا القيام بشيء من أجلها».

كانت كاميلا في غرفتها عندما عاد جافيه. كانت تجلس على سريرها والدموع تنهمر على وجهها.

«أنا آسف» قال جافيه، «يبدو أننا وصلنا بعد فوات الأوان».

«الذنب ليس ذنبك، جافيه، على كل حال، شكراً لأنك حاولت».

«نحن ندفع غالياً ثمن عزلتنا وبعدنا عن المدينة، على كل حال أكد لي الطبيب أن مرضها غريباً ولم يعرف مثله. ربما يكون نوعاً من أنواع الحمى الموسمية». تأمل حزنها قليلاً وبدا متردداً.

«ارتاحي، كاميلا، سيمر الطبيب لرؤيتك صباح غد».

في اليومين التاليين ظلت كاميلا منزعجة من فيليب الذي رفض الذهاب لإحضار طبيب لفاني على الفور، وقررت أن لا تكلمه إلا بما هو ضروري. في اليوم الثالث، أعلنت هيلين عن استيائها عندما أخبرتها كاميلا بأنها ستتخذ موهيني خادمة خاصة لها مكان فاني. فهي تشعر بمودة نحو هذه الفتاة الهندية، وخاصة بعد مجازفتها بالعناية بفاني أثناء مرضها. كما وأنها كانت قد وعدت لال بالاهتمام بابنته، ولقد جاءت الفرصة لتؤكد له ذلك.

«ولكن. . .» أرادت هيلين الاعتراض مجدداً.

«لقد قررت أن تكون في خدمتي، وانتهى الأمر» قالت كاميلا بحزم.

«لا أعتقد أن والدتي ستوافق».

«أوه، بالمناسبة، أين هي السيدة لوسيا؟».

«انها ليست بخير، الصداع مجدداً. لقد تأثرت بموت فاني وليست. . .».

بعد الغداء، قررت كاميلا رؤية حماتها كي تسليها قليلاً، فنزلت الحديقة وقطفت لها باقة من أزهارها المفضلة.

«من؟» سألتها مديرة المنزل لولا عندما طرقت باب غرفة السيدة الكبيرة.

«اوه، سيدة كاميلا. . . ولكن سيدتي لا ترغب برؤية

أحد».

«لتدخل» تدخلت السيدة لوسيا وهي ترفع رأسها عن الوسادة. ثم أخذت تتحدث بسرعة بأمور عديدة أمام دهشة كاميلا.

«الافضل أن تخرجي» همست المربية لولا بخجل.

يبدو أن السيدة الكبيرة تعاني من أكثر من مجرد صداع. . . نهضت كاميلا لتخرج لكن السيدة لوسيا صرخت بها فجأة.

«انتظري. من سمح لك بقطف الأزهار من حديقتي؟ كيف تجرأت؟».

«اوه، عفواً. . .» قالت كاميلا متعلثمة. «اعتقدت انني أسعدك بذلك».

أخذت السيدة لوسيا ترتجف بشدة.

«آه، لقد أخطأت بمجيئك الى هنا. . . لن تتمكني من الوقوف بوجهها. اعتقدت أن «أنيلا» سترحل فور وصولك. لكنها لا تزال هنا، أنا أشعر بذلك!».

ثم رمت نفسها على السرير تبكي بحدة فأسرعت لولا لتهدأتها. أدركت كاميلا أن وجودها يزيد من توتر حماتها فانسحبت راكضة الى غرفتها وتشعر بحاجة كبيرة لفاني التي شعرت منذ اليوم الأول أن هناك شيئاً غريباً في هذا المنزل.

كانت كاميلا تعرف أن حماتها متوترة ومتبدلة

المزاج، لكنها لم تفهم موقفها وتصرفها اليوم. ومن تكون «أنيلا» التي كان يجب أن تختفي فور وصولها هي؟ انها لا تفهم شيئاً. ربما بإمكان موهيني أن تشرح لها.

عندما دخلت موهيني لمساعدتها بارتداء ملابسها استعداداً للعشاء سألتها كاميلا عن أنيلا هذه. تفاجأت موهيني بهذا السؤال.

«انها مخلوقة شريرة وخطرة. لقد اصطحبها معه ابراهاما، لكن بعد رحيله، ظلت هنا، تعيش في التلال في معبد شيفا وسط الأطلال. كثيراً ما يراها الأهالي. العمال يخافون منها ويعتبرونها تتقمص روح «بارفاتي» زوجة الرب شيفا».

كانت كاميلا قد سمعت كثيراً عن خرافات الديانة الهندية، لكنها لم تفهم شيئاً من هذه القصة وعلاقتها بها.

«المزارعون كلهم جاهلون» أضافت موهيني. «أما أنا فلا أصدق هذه الخرافات».

«يبدو أن أنيلا استغلت سذاجتهم لتمارس سلطتها عليهم».

«في الليل، من عادتها ان تخرج وترقص أمام المعبد عارية من الملابس لا تضع إلا الأساور والعقود. ثم، ذات يوم، رحلت».

«ولكن ما علاقتها بدونا لوسيا؟ انها متأكدة انها لا تزال في المنطقة».

«لا يمكنني الكلام...».

«تكلمي، لن أخبر أحداً انك أخبرتني».

«السيدة لوسيا لا تدري ما تقوله دائماً، فهي تصاب بالهلوسة غالباً وتضطر لحبس نفسها في غرفتها... أحياناً لبضعة أيام».

«تقصدين انها... شبه مجنونة؟».

«نعم، لطالما كانت تصاب بالهلوسة، لكن أزمات الصداع والاضطراب أصبحت تستمر مدة أطول. السيدة تفقد عقلها، بالتأكيد، لكن أحداً لا يتكلم بصراحة».

لقد فهمت كاميلا الآن لماذا كان جافيه بحاجة لسيدة للمنزل. صحيح أن السيدة لوسيا تكون عادة بكامل وعيها، لكن المنزل كله مهدد بإمكانية جنونها التام بين يوم وآخر.

لابد أن السيدة لوسيا سمعت عن أنيلا، فازداد اضطراب عقلها. ولكن، ما علاقة كاميلا بأنيلا.

في الأيام التالية، أخذت كاميلا على عاتقها أمور الادارة في المنزل، يساعدها لال الذي كان ممتناً لها لاهتمامها بابنته.

بالمقابل، علاقتها مع جافيه كانت لا تزال على حالها فهو ينام في غرفة وهي في غرفة، لكنه أمام

العائلة والخدم يعاملها بكل لطف، أما في الليل، فيتجاهلها تماماً. كان كل مساء يدخل ويرمي عليها تحية المساء، فتحاول عبثاً أن تؤخره بالحديث، لكنه كان يبدو مستعجلاً للهروب منها، مع انها كانت تعتني كثيراً بجمالها وأناقتها. لكن جافيه لم يكن ليتأثر بسحرها أبداً.

أمام لا مبالاته، كان حب الفتاة له يزداد يوماً بعد يوم رغماً عنها! الى متى ستتحمل؟.

بعد ظهر أحد الأيام، عاد جافيه ساعة الشاي برفقة ماك ومعهما شاب وسيم جداً.

«كاميلا، أقدم لك بيات مان دير فرت مساعدي. لقد عاد لتوه من اجازته في امستردام».

«تشرفت بمعرفتك سيدتي» قال الشاب وهو ينحني أمامها، «لقد سمعت الكثير عن جمال السيدة بلانتاين. لكنهم لم يصفوا جمالك بدقة!».

شكرته كاميلا على لطفه ودعتهم الى الشرفة. كانت سعيدة بهذا الاطراء على جمالها الذي يتجاهله زوجها.

«بما انك عدت، بيات، بإمكاني أن أتحرر قليلاً من العمل، سأذهب غداً الى «هاز لغروف»» ثم التفت نحو كاميلا.

«انها مزرعة بن قريبة من هنا. يفكر صاحبها ببيعها. اذا أعجبني السعر، ربما اشتريتها. أترغبين بمرافقتي؟».

«اوه، نعم، بكل سرور» صرخت بحماس كبير.

وأخيراً ستقضي نهاراً بكامله مع زوجها بعيداً عن اضطرابات لوسيا العصبية وعن عبوس هيلين واطراءات فيليب. بالتأكيد، هي لا تنتظر معجزة بشأن جافيه، لكن هذا لا يمنعها من الأمل.

انطلقا في اليوم التالي مع الفجر كي يتمكنا من الذهاب والعودة قبل الليل. كان كل شيء صامتاً حولهما. لم يتكلم أحد منهما. بالنسبة لكاميلا، وجود جافيه الى جانبها يكفي لإسعادها. ثم، الا يتشاركان كلاهما حب هذا البلد وأراضيه.

ما ان رأت أشجار البن الذابلة حتى أدركت انهما وصلا الى هاز لغروف. انحنى جافيه وقطف ورقة وأشار الى بقعها الحمراء الغامقة.

«انه مرض «الهيميليا» الذي يصيب البن ويعجز المزارعون عن مكافحته، ولهذا السبب قرر «كارستار» صاحب هذه الأرض بيعها».

«ولكنهم يقطعون الأشجار الصغيرة» قالت مشيرة الى الأفيال المحملة بالخشب والى العمال المنهمكين بقطع الشجيرات.

«نعم، فهذه الأغصان تنظف وتشحن الى انكلترا ليصنعوا منها قوائم الطاولات. هذه وسيلة للتقليل من حجم الخسارة».

عند وصولهما وجدا آل كارستار بانتظارهما على الشرفة المغطاة بالنباتات المتسلقة، المنزل صغير لكنه جميل جداً ومريح.

«لابد انكما متألمان لمغادرة هذه الجنة الصغيرة» قالت كاميلا لمضيفيها بلطف أثناء تناول الغداء.

«لقد أخذنا نعتاد على هذه الفكرة» أجابتها السيدة كارستار. «منذ اجتياح هذه الجرثومة أرضنا ونحن نعيش مكتفي الأيدي، نشهد بعجز على افلاسنا. وأخيراً، البيع سيريحنا».

«نفكر بالرحيل الى ماليزيا» أضاف زوجها. «يبدو أن هناك احتمالات كثيرة للكسب».

بعد تناول القهوة، انسحب الرجلان ليتناقشا بالأعمال، بينما اصطحبت السيدة كارستار كاميلا للقيام بجولة على المنزل والحديقة.

«أنا أعترف انني آسفة للرحيل عن هذا المنزل» قالت السيدة كارستار متنهدة. «وكنت أتمنى أن يعيش فيه زوجان سعيدان مثلنا».

صحيح أن المنزل صغير جداً بالمقارنة مع منزل آل بلانتاين، لكن كاميلا ارتاحت فيه وشعرت برغبة قوية للسكن فيه. وأخذت تفكر كم ستكون سعيدة فيه مع جافيه بعيداً عن الجو الخانق في منزل العائلة. وتخيلت نفسها تسمع صراخ أطفالهما... الاطفال الذين لم

تنجبهم... فاجتاحها اليأس فجأة.

لاحظت السيدة كارستار شحوبها، فأمسكت يدها بحنان.

«أنت لست بخير؟ ربما أنت حامل!».

«لا أعتقد ذلك. على كل حال، أنا بخير» أجابتها كاميلا بسرعة كي لا تفهم المرأة أن زواجهما مجرد مظاهر مخادعة فقط.

بعد قليل عاد الرجلان مشرقي الوجهين ودعاهما السيد كارستار لقضاء الليلة عنده.

«شكراً لكما» قال جافيه بإصرار. «ولكن يجب أن نعود على الفور. لقد عاد مساعدي لتوه من اجازته، ولم يطلع بعد على كل الأمور...».

فهمت كاميلا أن جافيه يريد بأي ثمن أن يتجنب مشاركتها نفس الغرفة، فأدارت وجهها كي لا يلاحظ خيبتها.

هبط الظلام بسرعة مع أن القمر كان ينير طريقهما، بدأا طريقهما بصمت وكاميلا تتأمل هذه الطبيعة الساحرة. بعد قليل، أخذ جافيه يحدثها عن تاريخ الجزيرة وعن الاساطير التي تدور حولها.

«أنا آسف اذا كنت جعلتك تملين من كل هذه الروايات!» قال جافيه فجأة.

«أبداً!» أجابته بسرعة. «حديثك مثير، بإمكاني أن

أصغي اليك لساعات وساعات بدون ملل».

«الافضل أن نراقب طريقنا بصمت» قال بجفاف مفاجىء. «الليل خطر عادة».

سرت كاميلا كثيراً لأنها اكتشفت شيئاً جديداً في زوجها. انه رجل مثقف جداً ولا تطلب إلا التعرف اليه أكثر. ولكن كل مرة ينفتح فيها قليلاً أمامها، يعود على الفور لينكمش على ذاته ويلوذ بالصمت.

ما ان اقتربا من منزلهما في منتصف الليل، حتى لاحظت كاميلا بيات مان دير فرت الهولندي مختبئاً تحت الشرفة الأمامية. على بعد أمتار منه، رأت امرأة ترتدي الملابس الأوروبية تتجه نحوه ثم ترمي نفسها بين ذراعيه. لكن كاميلا تعرفت بسرعة على هيلين. نعم، انها هيلين تقابل سراً مساعد شقيقها الهولندي.

لو علمت دونا لوسيا بالأمر لجن جنونها. فهذه المرأة النبيلة البرتغالية سترفض بالتأكيد زواج ابنتها الوحيدة من مجرد موظف عندهم لا لقب لديه ولا ثروة.

مسكينة هيلين التي تموت من الرغبة بالزواج! مع الحياة المعزولة التي تحياها هنا، كيف يمكنها أن تلتقي برجل نبيل وثري؟ فكيف نلومها اذا تعلقت بأول شخص تراه؟ على كل حال، قررت كاميلا الاحتفاظ بهذا السر لنفسها.

كما كانت تخشى، لم يغير هذا النهار الذي قضياه معاً شيئاً من علاقتها مع زوجها. الآن، بدأ أملها بأن يحبها يضيع شيئاً فشيئاً.

منذ بداية زواجهما، تحققت نبؤة فاني! ان جافيه سيدمرها شيئاً شيئاً وسينتزع منها تلك الثقة بالنفس القوية التي جاءت متسلحة بها. ماذا سيحل بها، هي، الفتاة الذكية المشرقة والمغامرة عندما يقضي عليها الزمن ولا مبالاة زوجها؟.

لكنها تشعر أنه أحياناً عندما يتحدث اليها، يتحدث بكل ثقة لا يظهرها لأي شخص آخر. هناك أشياء كثيرة مشتركة بينهما: الايمان بالوجود، الايمان بقيمة الجهد، حبهما للأرض وللزراعة... لديهما كل شيء لنجاح زواجهما، كل شيء، ما عدا الشيء الأساسي...

آه، فقط لو أن جافيه لا ينسحب بسرعة كل ليلة الى برجه العاجي! فكرت كاميلا بمرارة وهي تراقب زوجها جالساً على الشرفة في مساء اليوم التالي وهو ينظر بشرود الى البعيد... آه، لو أننا ننجب أطفالاً!... فكرت بحزن وشعرت بيأس كبير زاده توتر السيدة لوسيا هذا المساء ومنظر فيليب الذي يشرب الكأس تلو الآخر ورؤية نظرات هيلين الخاطفة الى ساعتها، لابد انها تنتظر موعدها لملاقاة حبيبها. تظاهرت كاميلا بصداع في رأسها وصعدت الى غرفتها.

www.rewity.com AYAHEEN

«لا يزال الوقت مبكراً» قالت لها موهيني وهي تساعدها على خلع ملابسها. «أنت لا تبدين بخير».

«أشعر بالصداع وبالتعب. سأقرأ قليلاً قبل أن أنام. بإمكانك الذهاب، لست بحاجة لأي شيء».

في الواقع، لم تكن كاميلا متعبة، ولم تكن أيضاً ترغب بالقراءة، كانت فقط متوترة من هذا الوجود القاتم الذي ينتظرها. وقفت قليلاً أمام النافذة، فإذا بها تسمع دقات على بابها.

«تفضل» قالت بسرعة اعتقاداً منها انه جافيه. لكن دهشتها كانت كبيرة عندما رأت فيليب يدخل مترنحاً.

«ماذا جئت تفعل هنا؟» سألته بجفاف. «ألم تسمعني عندما قلت بأنني متعبة؟».

«سمعتك، لكنني لم أصدقك، وفكرت انك قد تفضلين رفقتي».

«هل فقدت عقلك؟ كيف تدخل هكذا الى غرفة امرأة متزوجة؟ ماذا لو دخل جافيه ورآك هنا؟».

«لن يصعد الآن، على كل حال، لن نفعل شيئاً، سنتسلى بالثرثرة فقط، ما الضرر في ذلك؟».

«اخرج من هنا، فيليب» رمته بغضب.

كانت ترتدي ثوب النوم الرقيق فزادت نظراته من غضبها. فاتجهت نحو الباب وفتحته.

«اخرج، فيليب».

هز فيليب كتفيه واتجه نحو الباب، فتنهدت الفتاة براحة أمام فكرة أن هذا المشهد المزعج سينتهي. لكن بدل أن يختفي، أغلق فيليب الباب بسرعة وحبس كاميلا بين صدره وبين الحائط.

«هيا، كاميلا، لا تتلاعبي معي، أنت رائعة وأنا لست مملاً كأخي، على كل حال، أنا لا أفضل الهنديات مثله!».

«الهنديات؟» سألته بقلق وهي تحاول ابعاده عنها.

«الا تعلمين؟» قال بدهشة وهو ينظر اليها بمكر. «اسأليه اذاً عن الحسناء التاميلية التي يصاحبها. هذا الا اذا كنت مثل بقية النساء المتزوجات، يفضلن التغاضي عن مثل هذه العلاقات لأزواجهن».

«أتقصد أنيلا؟» تمتمت بذهول وغضب وكأن الحقيقة أعمتها.

«ها أنت تعلمين!» قال بسخرية. «انها فاتنة جداً، ولكن بالنسبة لي، أنا أفضلك أنت، كاميلا!».

ثم ضمها اليه أكثر وحاول تقبيلها فأبعدت وجهها وحاولت التخلص منه عبثاً. في هذه اللحظة فتح الباب ودخل جافيه ونظر اليهما والشرر يتطاير من عينيه. على الفور، ابتعد فيليب فاستندت الفتاة على الحائط وقلبها يدق بسرعة.

«لم أكن أريد ايذاءها» قال فيليب متلعثماً أمام

نظرات أخيه.

«اذا حاولت مرة ثانية أن تمس شعرة من زوجتي» صرخ جافيه وهو يمسك شقيقه من عنقه. «سألقنك درساً لن تنساه طيلة حياتك، أتفهم؟ والآن، اغرب عن وجهي أيها الحقير!».

ما ان صفق الباب وراء شقيقه حتى عاد الى كاميلا. همت كاميلا بأن تشكره لأنه خلصها من قبضة فيليب لكن ملامحه القاسية المليئة بالاحتقار جمدت الكلمات على شفتيها.

«اطلب منك من الآن وصاعداً أن لا تستقبلي شقيقي في غرفتك مهما كان الأمر».

«ولكن... أنا... لم أطلب منه المجيء!» تلعثمت بصوت لاهث. تقدم نحوها، فأخذت ترتجف من الرعب.

«لا تكذبي، لو سمحت. من الواضح انك شجعته. في منزلي، وأمام عيني! حسناً، اذا كان هذا ما تريدينه...».

وقبل أن يسمح لها الوقت لمعرفة نواياه، أمسك ذراعها بيد وبيده الأخرى مزق قميص نومها، صرخت الفتاة من الخوف وهو يحملها بين ذراعيه ويرميها على السرير. بعد ذلك، خنق صيحاتها بشفتيه بكل عنف وبدون أي أثر للحنان. فجأة، نسيت كاميلا اهانته ولم

تعد تفكر الا بشيء واحد: انه هنا، وهي بين ذراعيه، ولأول مرة يظهر لها شيئاً آخر غير اللا مبالاة. أحاطت عنقه بيديها واستسلمت بدون تحفظ لقبلاته التي رقت شيئاً فشيئاً.

فجأة، ابتعد عنها وصرخ بحدة.

«لا. لتذهبي الى الشيطان!» ثم وقف أمام النافذة مديراً لها ظهره، وهو يلهث كأنه يتألم بشكل لا يحتمل.

«جافيه...» قالت بصوت مخنوق. «ماذا يجري؟».

انه يرغب بها، انها متأكدة من ذلك الآن.

«ما يجري اننا متفاهمان حول زواجنا الصوري».

«نعم، أعلم، ولكن أخيراً، جافيه، أنت ترغب بي، اعترف بالأمر، فأنا زوجتك».

«لا تكوني واهمة، كاميلا. كنت غاضباً جداً لرؤيتك بين ذراعي فيليب، هذا كل ما في الأمر».

«انت مخطىء، جافيه» صرخت والدموع تتلألأ في عينيها من الغضب. «كنت أحاول يائسة أن أتخلص منه!».

«حسناً، لاحظت ذلك، وأرجو أن تعذري ردة فعلي... أنا آسف. أيكفي هذا؟».

«لا، هذا ليس كافياً بأي حق تدخل غرفتي كالزوج الغيور؟ بأي حق تلومني على تصرفاتي لو كنتُ قد

دعوت فيليب الى غرفتي بملىء ارادتي؟ أنت ترفض القيام بواجبك الزوجي نحوي، وترفض منحي أولاداً» أضافت بمرارة. «ولكنك بالمقابل، تبحث عن ارضاء نزواتك الحقيرة مع عشيقتك التاميلية».

«من قال لك ذلك؟» سألها بدهشة. «فيليب، أليس كذلك؟».

«ليس مهماً من أخبرني ولكن...».

«اسمعي، اذا كنت تجدين أنه لا يمكنك تحمل الوضع على حاله، فأنا لا أمنعك من العودة الى جدتك. ولكن اذا قررت البقاء هنا، عليك أن تحترمي اتفاقنا. والآن تصبحين على خير، لقد طالت هذه المهزلة».

دخل غرفته وتركها وحدها، فأجهشت بالبكاء المرير من الهم والغيرة. الآن هي تعلم لماذا لا يرغب جافيه بها. ذلك لأنه مغرم بامرأة أخرى، امرأة لا يمكنه الزواج منها... تلك الراقصة التاميلية... حتى ان والدته على علم بعلاقته مع هذه الهندية. كانت والدته تأمل أن زواجه سيبعده عن عشيقته، لكنها كانت مخطئة: لا تزال انيلا تسحر جافيه، ان فكرة لقاءاته مع عشيقته تعذبها كثيراً. ولكنها لن تستسلم، يجب أن تتعلم كيف تتحمل هذا الوضع... لأنها لن تتمكن من العيش بعيداً عنه مع كل ما حصل. ستدوس على

كبريائها وستناضل من أجل الرجل الذي تحبه. نهضت فجأة ونزعت قميص نومها الممزق ورمته جانباً، لن تتمكن من البقاء في السرير، وإلا ستختنق. ارتدت ملابسها بسرعة وخرجت من المنزل دون أن يراها أحد. قصدت الاسطبل حيث أسرجت حصانها وانطلقت في الظلام بين الحقول. لكن بدل أن تتابع سيرها نحو التلة، اتجهت يميناً وسط الاشجار الكثيفة ولم تتوقف الا عندما وصلت الى منطقة الأطلال. حدقت حولها بشيء من الخوف. لابد أن هذه بقايا المعبد الذي حدثتها عنه موهيني. ربطت كاميلا حصانها عند جزع شجرة وتوقفت هنا وهناك تتأمل المنحوتات الحجرية التي تمثل الآلهة والجنيات متعانقين حول الأعمدة.

لاحظت أخيراً معبد شيڤا وهو الوحيد الذي لا يزال سليماً وأعمدته البيضاء تلمع تحت ضوء القمر المكتمل. كانت تقترب من المعبد ببطء عندما أحست بأنها ليست وحدها. هناك امرأة جالسة تعقد ساقيها بوضع التأمل على احدى درجات السلم.

تسمرت كاميلا مكانها. هل رأتها هذه المرأة أم لا؟ مستحيل أن تعرف لأن المرأة نهضت بهذه اللحظة ببطء وبدأت بالرقص. كانت هذه المرأة عارية تماماً، لا تضع إلا الأساور الضخمة في معصميها وقدميها وشعرها الطويل الاسود مسترسل حتى أسفل ظهرها. هل هي

جنية ترقص للإله شيفا؟.

أحست كاميلا برعشة برد فأغمضت عينيها للحظات من شدة خوفها. عندما فتحت عينيها، لم تعد ترى تلك المرأة. أين اختفت؟ لابد انها أنيلا التي تسحر العمال التاماليين برقصها. ليس من المدهش اذاً أن يقع جافيه أيضاً تحت سحرها.

اتجهت كاميلا مسرعة نحو حصانها، فامتطته وعادت أدراجها لاهثة، حتى وصلت الى المزرعة. لكن يبدو أن نهارها لم ينته بعد من المفاجآت، لأنها بعد أن أعادت حصانها الى الاسطبل، اصطدمت بهيلين تحت الشرفة.

«يا الهي! لقد أخفتني!» صرخت هيلين غاضبة. «ماذا تفعلين في الخارج بمثل هذه الساعة؟».

«لم أتمكن من النوم» أجابتها كاميلا. «فخرجت بنزهة على الحصان».

«هل أنت مجنونة؟ ماذا سيظن جافيه اذا علم بنزهاتك الليلية؟».

«لن يعلم شيئاً، فهو نائم».

«لا أصدق أية كلمة من كل هذه القصة» قالت هيلين بنبرة هستيرية. «كنت تتجسسين عليّ، أليس كذلك؟ هيا، اعترفي!».

«أخفضي صوتك» أمرتها كاميلا. «وإلا ستوقظين

الجميع! لم أكن أتجسس عليك، هيلين، لا ضرورة لذلك، فأنا على علم بعلاقتك مع بيات مان دير فرت. رأيتكما معاً مساء عودتي مع جافيه من هاز لغروف».

«يا الهي!».

«ولكن لا تقلقي» طمأنتها كاميلا. «لا أحد غيري يعلم بالأمر».

«ولا جافيه، ولا والدتي؟».

«لا. ربما أكون مخطئة بعدم اخبارهما. لكنني لا أريد التدخل بأمورك. عليك أنت، هيلين أن تتساءلي اذا كنت تسيرين على طريق الصواب».

«وبعد!» انفجرت هيلين بحدة. «انظري اليّ... أنا لم أعد صغيرة، ولست جميلة جداً مثلك. أكاد أموت من الملل في هذا المنزل المنعزل عن العالم، فكيف سأجد زوجاً مناسباً. كما وأن والدتي تعارض زواجي حتماً... هذا لأنها لا تحبني كما يجب. منذ صغرنا وهي تفضل جافيه علينا. أعتقد انها سعيدة بالتخلص مني، ومع ذلك ترفض أن توفر لي الفرص للقاء بالشبان».

«غريب! مع انني اقترحت عليها أن تقيم حفل عشاء أو اثنين من أجلك، ولكن...».

«أجابتك بأنها لا تحب الضجيج الذي يشعرها بالصداع و...».

«نعم، فاقترحت عليها أن تصطحبك لقضاء بضعة أيام في كولومبو. لكنها فضلت أن ننتظر نهاية موسم الرياح الموسمية كي لا تعيقنا الطرقات الموحلة».

«لو لم يكن موسم الرياح الموسمية قريباً، لوجدت أمي حتماً عذراً آخر... ولكن، يدهشني اهتمامك بي، مع انني... لم أكن لطيفة معك...».

«لننسى الأمر، هيلين. ولكن، أخبريني، هل تحبين بيات؟».

«ليس حباً عميقاً، ولكنه بحاجة لامرأة أوروبية فلم أجد سبباً لرد تحرشاته بي».

في اليوم التالي كان الجو خانقاً في المنزل. فهيلين رغم تأكيدات كاميلا ظلت تخشى افتضاح سرها. أما فيليب فلم يجرؤ على النظر الى كاميلا وجهاً لوجه، كما وأن والدته كانت متوترة أكثر من العادة.

هذا النهار لم تر كاميلا زوجها لأنه خرج باكراً. ولكنه دخل غرفتها فجأة عندما كانت موهيني تساعدها على ارتداء ملابسها قبل النزول لتناول العشاء. ما ان رأته موهيني يدخل حتى انسحبت بهدوء.

«لننزل الآن لتناول العشاء معاً» قال جافيه وهو يمد يده نحوها.

«لست جاهزة بعد، علي أن أضع عقد اللولؤ».

«سأفعل بنفسي» قال وهو يمسك العقد عن الطاولة

ليضعه حول عنقها.

«دع عنك هذا، بإمكاني أن أفعل ذلك بنفسي».

«هيا، كاميلا، لا تتحركي، أعدك بأن مشهد الأمس لن يتكرر أبداً ولكنني لا أزال أفكر به» أضاف بصوت ساخر وهو يداعب كتفيها. «ربما تريدين أنت أن لا ألمسك؟».

لماذا يعذبها هكذا؟ تساءلت بيأس وهي تتذكر رقصات أنيلا في المعبد... هل قضى جافيه فترة بعد الظهر مع تلك المرأة وبعد أن شبع رغباته جاء ليجد لذة بتعذيب زوجته؟.

رفعت رأسها نحوه انها تحبه ولكنها اكتفت من هذه المهزلة.

«بما أنك فتحت الموضوع، أفضل فعلاً أن لا تقترب مني. وأتمنى من اليوم وصاعداً أن لا تدخل من باب غرفتي لأنني سأقفله بالمفتاح».

«اوه، ولكن، ماذا سيظن الخدم عندما يروني أدخل من باب الممر الى غرفتي؟».

«ليظنوا بما يشاؤون» أجابته باحتقار. «زواجنا مسألة تخصنا نحن فقط، والآن، أنا مستعدة للنزول».

لقد قطعت لتوها آخر صلة بينها وبين جافيه. لن يلتقيا بعد اليوم وحدهما، الأمر يجرح كبريائها كزوجة مهملة. نعم، لقد كسبت أنيلا ولا تملك كاميلا أي

سلاح لمواجهتها.

في الأيام التالية، كانت كاميلا تقضي وقتاً طويلاً في التنزه على حصانها فالأمطار لن تتأخر وستمنعها من مزاولة رياضتها المفضلة بين الحقول وستحبسها داخل المنزل. ان فكرة سجنها داخل المنزل لأيام وأسابيع تقلقها، فأرادت أن تستغل هذه الأيام بالخروج.

كان موقع الأطلال يجذبها كالمغناطيس، فعادت اليه عدة مرات، لكنها لم تر أبداً جنية المعبد مرة ثانية.

ذات صباح، سمعت أصواتاً مرتفعة صادرة من غرفة السيدة لوسيا فأسرعت على الفور لترى حماتها وتطمئن عنها. كانت السيدة لوسيا تتلفظ بعبارات غير مفهومة بينما لولا الخادمة تحاول تهدأتها وفيليب يفرك يديه بعصبية دون أن يدري ماذا يفعل.

«ماذا يجري؟» سألته كاميلا.

«انها شقيقتي المجنونة! لقد هربت مع بيات مان دير فرت».

عندما حملت لها موهيني الشاي الى غرفتها لم تجدها. لم تقلق على الفور، لكن فيما بعد، اكتشفوا انها اختفت مع ملابسها وأغراضها الشخصية وكل مجوهراتها.

«تركت فقط هذه الرسالة الصغيرة. لقد رحلت مع بيات. لا تحاولوا اللحاق بي، لن أعود عن قراري.

سامحوني، ولكن ليس هناك حل آخر».

ساعدتهم كاميلا على وضع الوالدة في السرير وغادرت الغرفة مع فيليب.

«ماذا سيقول الناس عنا عندما يعلموا انها هربت مع أحد عمال جافيه؟» تمتم فيليب.

«هذا كل ما يهمك؟ الا تفكر أبداً بسعادة شقيقتك؟» سألته باحتقار.

«سعادتها مع شاب معدم؟».

«ربما فهمت هيلين أن هذه فرصة لسعادتها يجب أن لا تفوتها أبداً».

«آه، يا للنساء العاطفيات! تعتقد شقيقتي أن الحياة تشبه تلك القصص العاطفية التي تقرأها».

كما في كل مرة يحدث فيها أمر طارىء، تم استدعاء جافيه من عمله فجاء على الفور واستمع الى القصة من فيليب.

«كنت على موعد مع بيات هذا الصباح فتفاجأت بعدم مجيئه. لكنني لم أتوقع أبداً انه قد يكون قد رحل مع هيلين. يبدو انه كان بينهما علاقة منذ مدة».

«بالفعل» تدخلت كاميلا.

التفت الشقيقان نحوها بذهول.

«ماذا! كنت تعلمين؟» سألها فيليب غاضباً.

«وأغمضت عينيك عنهما؟».

«أمنعك من الكلام مع كاميلا بهذه اللهجة» أمره جافيه. «أريد أن أكلمها على انفراد» أضاف وهو يقود زوجته الى الصالون ثم أقفل الباب وراءهما.

«والآن، قولي لي ما تعرفينه...».

«لا أعرف الكثير... كنت أجهل خطة هربهما، أؤكد لك. بالمقابل، كنت أعرف فقط بعلاقتهما».

«ولم تقولي أية كلمة! شقيقتي على علاقة مع أحد عمالي وأنت ارتأيت الاحتفاظ بالصمت؟ أهذا منطقي؟».

«لم أشأ الكشف عما اكتشفته صدفة. هذه خيانة من جهتي. كيف يطيعني قلبي برفض قليل من السعادة التي وجدتها شقيقتك؟».

«ألم يخطر ببالك أن تكلميني بالأمر؟».

«لا. أنا آسفة، جافيه. فعلاقتي معك منعتني من مصارحتك».

«أفهم، ولكن لو كنت حذرتني لكان بإمكاني أن أجنب الجميع مثل هذا الموقف. لا أحد يعلم اذا كان بإمكان هيلين أن تتزوج من بيات، فهو منفصل عن زوجته التي ترفض منحه الطلاق».

«اوه، مسكينة هيلين!» قالت كاميلا بأسف. «ماذا سنفعل؟».

«سأذهب للبحث عنها كي أردعها عن جنونها. خلال

هذا الوقت، تبقين أنت هنا تندمين على اخفائك هذا السر عني».

ثم تركها وحدها وخرج.

«يا الهي، كاميلا! في أي منزل وقعت!» قالت لنفسها بندم شديد.

جافيه سيتغيب لبضعة أيام، فكيف ستسير الأعمال بدونه وبدون بيات؟ لا بد أن العمال قادرون على متابعة القطاف ولكن يجب أن لا يشعروا بغياب السيد. هكذا قررت كاميلا أن لا تبقى ساكنة أثناء غياب جافيه، ويجب عليها هي وفيليب أن ينسيا خلافاتهما كي تسير أمور العمل بأي ثمن. ولكن عندما اقترحت هذه الفكرة على فيليب، رفض بإصرار.

«أنا لا أرفض لمجرد كوني كسولاً، لكن العمال والمراقبين يعلمون انني أجهل كل شيء عن هذه الأعمال! على كل حال ما نفع مراقبتهم، فهم يعرفون عملهم جيداً».

«ماذا لو ذهبنا الى هاز لغروف وطلبنا من السيد كارستار أن يمد لنا يد المساعدة؟».

«كيف سيساعدنا وهو لا يعرف غير زراعة البن؟» سألها هازاً كتفيه بلا مبالاة.

قررت كاميلا تنفيذ فكرتها وهكذا أقنعت فيليب بمرافقتها الى هاز لغروف، فرحلا في الصباح الباكر.

www.rewity.com YAHEENA

«اياك أن تتصرف معي بحماقة، فيليب. اذا اقتربت مني سيقتلك جافيه فور عودته، أعدك بذلك».

«لا تقلقي، كاميلا، لقد فهمت الدرس الأول جيداً، لا أرغب بإغضابه، فأنا حريص على حياتي... ولكن ألا تعلمين أن والدتي تكره رؤية الغرباء في راتنغالا؟».

«يجب أن ترضخ للأمر. على كل حال، ومع حالتها هذه ستلزم غرفتها».

«يبدو انك تعرفين الكثير عن مرض أمي...».

«اسمع، فيليب، لست عمياء. كما وأنني الآن جزء من هذا المنزل، ويعنيني كل شيء فيه».

وصلا بعد الظهر الى هاز لغروف، فاستقبلتهم آل كارستار بالترحيب، فشرحت لهما كاميلا باختصار سبب زيارتها. قالت بأن جافيه اضطر للتغيب بضعة أيام لتسوية بعض المسائل العائلية، كما وأن مساعده مسافر وليس هناك من هو كفؤ لإدارة الأعمال الزراعية، لهذا ارتأت طلب المساعدة من السيد كارستار.

«يسعدني أن ألبي طلبكما» قال السيد كارستار بحماس. «لقد سبق وأن عملت في حقول الشاي منذ زمن طويل ولكن الأراضي لم تكن بمثل مساحة أرضكم الكبيرة».

«انها مسألة أيام قليلة فقط، وأنا متأكدة انك ستتمكن من القيام بهذه المهمة» شجعته كاميلا وكذلك زوجته.

وهكذا، انطلق السيد كارستار معهما وفور وصولهم رافقته كاميلا بجولة على الحقول وشرحت الوضع للمراقبين الذين أبدوا استعدادهم للتعاون معه.

في الأيام التالية، لم تجد كاميلا وقتاً للراحة، كان عليها أمر إدارة المنزل. ولحسن الحظ كانت لولا موجودة ووفية في عملها. أما دونالد كارستار، فقد انهمك بمراقبة الأعمال الزراعية مما سمح لكاميلا بقضاء جزء من وقتها في المكتب.

لقد بذلت جهداً كبيراً في تنظيم الأعمال المكتبية والحسابية بمساعدة ماك الذي ساعد بالرد على الرسائل المستعجلة.

لم يسبق لكاميلا أن قامت بمثل هذا العمل، ولكن عقلها كان واضحاً وحماسها كان كبيراً. ثم، كان لجافيه طريقة منظمة في العمل، سهلت عليها مهمتها فاتبعت طريقته.

اعتاد المهندس والعمال في المصنع على رؤية المرأة الشابة التي تفيض بالأنوثة تتجول بينهم وكانوا يتأملونها وهي منحنية على أوراقها كان ماك يحضر لها الشاي بانتظام ويطمئن عليها كل ربع ساعة. عندما كانت تعود في المساء الى المنزل، كانت تستحم وتتناول عشاءها وترمي نفسها على السرير من شدة التعب، لكن حماسها كان كبيراً وسعادتها كانت أكبر لأن جافيه

سيعود ولن يلاحظ أي أثر لغيابه.

«آه، هذه هي السيدة الحسناء بعد يوم عمل مرهق» قال فيليب ممازحاً بلطف ولكن ببعض الغيرة عندما عادت بالأمس.

«انها تقوم بأعمال رائعة» تدخل دونالد كارستار. «سيكون السيد بلانتاين فخوراً جداً بزوجته».

عاد جافيه بعد عشرة أيام وفاجأ كاميلا في المكتب في نهاية فترة بعد الظهر. اعتقدت كاميلا أنه أحد العمال يحمل اليها كوب الشاي، فلم ترفع رأسها لدى دخوله.

«ضعه على الطاولة».

«لو سمحتِ، سأسكبه لك» قال صوت جافيه العذب.

انتفضت كاميلا بعنف ووقعت الريشة من يدها.

«أوه، جافيه، لقد أخفتني!».

جلس على المقعد المواجه وأخذ يتأمل وجهها الذي أصبح أحمر من شدة الانفعال.

«حسناً، كمفاجأة، انها مفاجأة كبيرة لي! أنت هنا في المصنع... وعلمت بأنك استدعيت السيد كارستار من مزرعته... انها فكرة جيدة، كاميلا. لقد نجحت بالامساك بدفة الادارة جيداً».

«لم يكن بإمكاني البقاء مكتفة اليدين» أجابته بخجل.

«ولكن، قل لي، هل وجدت شقيقتك؟».

«للأسف، لا. لقد كانا قد سبقانا باثنتي عشرة ساعة على الأقل. لابد انهما رحلا قبل منتصف الليل. حتى انه قبل معرفتنا بهربهما، كانا قد استقلا القطار الى كولومبو... ومن هناك استقلا مركباً الى جاوا. هناك جالية هولندية كبيرة...».

«ماذا فعلت؟».

«لم يكن بإمكاني اللحاق بشقيقتي الى جاوا، كتبت لها رسالة تركتها في الوكالة البحرية. شرحت لها فيها انه ليس بإمكانها الزواج من بيات، وأن المنزل مفتوح لها ساعة عودتها».

«هل أخبرت والدتك؟».

«نعم، أخبرتها لتوي. انها في غرفتها والستائر مسدلة ولولا تساعدها على استنشاق الملح. لم أخبر أحداً غيرك بأن بيات متزوج. من الأفضل أن نجعل والدتي تعتقد بأن هيلين متزوجة ولا تعيش مع بيات بدون رابط مقدس».

شرب كوب الشاي دفعة واحدة ونهض.

«أتريدين أن نعود معاً الى المنزل؟ يجب أن أبدل ملابسي وأرافق السيد كارستار بجولته الأخيرة على المزارع. يا الهي! كم أفتقد لراتنغالا!».

لو تعلم أنت أيضاً كم أفتقد اليك! أضافت بصمت

ونهضت لتسير معه جنباً الى جنب. دونالد كارستار سيرحل غداً الى منزله وسيمسك جافيه من جديد إدارة أعماله.

«سأبحث عن مساعد آخر ينوب مكان بيات» قال لها أثناء تناول الفطور في صباح اليوم التالي.

«هل أنت حقاً بحاجة لمساعد؟» سألته مبتسمة. «لديك أنا».

«أنت لا يمكنك البقاء طوال النهار على صهوة جوادك تراقبين سير العمل، كما وأننا مقبلون على فترات حرجة، الـ . . .».

«لا» قاطعته كاميلا. «ولكن بإمكاني القيام بالأعمال الادارية، بالتأكيد، لا أملك كفاءتك، ولكني سأنجح. لقد سبق وتعلمت بعض الاشياء، أنت تعلم».

«أنا لا أتكلم عن كفاءتك، لقد قمت أثناء غيابي بعمل جيد وأنا ممتن لك. ولكنه كان عملاً مؤقتاً، أم انك تفكرين جدياً بالعمل بدوام كامل؟».

«لم لا؟» اعترضت كاميلا. «لال ولولا يهتمان بالمنزل، ومهما فعلت أنا تنزعج والدتك، كما وأنني لست حقاً زوجتك، ليس لدي أولاد أهتم بهم ولن يكون لي أولاد. يجب أن أجد شيئاً آخر يشغلني».

«ليس لدي الوقت الآن لمناقشة هذه المشكلة معك» قال بنفاذ صبر وهو ينهض.

«أنت تفضل عدم النظر الى الحقيقة من وجهها، اعترف بذلك!» قالت له بتحد وغضب. بدون أية كلمة، نزل الدرج وابتعد. تأملته كاميلا وهو يبتعد بعينيها الحزينتين. آه، الهدنة لم تدم بينهما طويلاً! وها هما يعودان الى نقطة البداية. . .

في منتصف الليل. استيقظت كاميلا على صوت المطر الغزير. يبدو أن موسم الرياح الموسمية قد بدأ. في صباح اليوم التالي، استمر هطول المطر وقد غطى الضباب المنطقة وانخفضت الحرارة بضع درجات.

ساعة بعد ساعة ويوم بعد يوم، استمر هطول المطر. أحياناً كان الضباب ينقشع ويتوقف المطر وتشرق الشمس على التلال، ولكن سرعان ما يعود المطر مصحوباً بالرياح من جديد.

عندما تهب العاصفة لم يكن العمال يخرجون الى الحقول الا نادراً. في مثل هذه الساعات كانوا ينهمكون في العمل في المزارع وجافيه يتنقل بينهم على حصانه طوال الوقت.

«اذا كنت لا تزالين مصممة على مساعدتي» قال لها ذات يوم. «بإمكانك أن تقضي ساعة أو ساعتين يومياً في المكتب بعد الظهر. يجب أن نتصرف وحدنا لأنني لن أتمكن من ايجاد مساعد قبل نهاية هذا الموسم العاصف».

«يسعدني كثيراً أن أقدم لك هذه الخدمة المتواضعة» أكدت له بحماس.

«لكنه تدبير مؤقت فقط» قال لها مبتسماً.

«حسناً، موافقة» أجابته ووعدت نفسها أن تبذل جهدها لتستمر بعملها.

«أنا لا أمزح، كاميلا» ألح جافيه الذي أدرك نواياها. «لن أعود عن قراراتي».

دونا لوسيا التي تعافت من الصدمة التي سببتها لها اختفاء هيلين عارضت هذه الفكرة.

«المرأة المصونة لا تنزل على مستوى هذه الأعمال» قالت بحدة. «ولا أرى ضرورة لذلك، لطالما كان جافيه قادراً على التصرف وحده».

«أنت تعلمين أنني سأكون سعيدة بالتخفيف عن كاهله».

«المسألة ليست هنا. ان مكانك ليس في المصنع، بل هنا، يجب أن تنجبي الاطفال لابني».

لم تكن كاميلا تريد أكثر من ذلك، ولكن لا يمكنها الاعتراف للسيدة لوسيا بأن ابنها يرفض القيام بواجباته الزوجية نحوها...

مر الوقت والمطر لم يتوقف، وأصبحت كاميلا تقدم معونة ممتازة لزوجها في المكتب وسرعان ما تأقلمت مع العمل على تنظيم عمليات نقل وتصدير الشاي.

وأثناء وقت فراغها كانت تقرأ الكتب عن الشاي ومواطن زراعته الأصلية في الصين.

«اسم شجرة الشاي الأصلي «كاميليا»» قالت ذات يوم لزوجها الذي جاء ليتحقق من احدى الفواتير. «يدهشني أن اسمي مشتق من زهرة الكاميليا أيضاً».

«وكأن والديك قد قررا منذ ولادتك أن تصبحي زوجة مزارع للشاي...».

قال بسخرية خفيفة. «أهذا ما تقصدين قوله؟».

«لقد توفيت والدتي أثناء ولادتي ولم يكن لديها أدنى فكرة عن اسمي، لقد قرأت هذا في أحد الكتب، والمصادفة أدهشتني».

«لا تبدأي برؤية اشارات وتنبؤات، فهذه عادة خطيرة...».

«الا تعتقد انت بالقدر وتنبؤاته؟».

تأملها جافيه للحظات بإعجاب. فمنذ رحيل هيلين ومشاركة كاميلا في الادارة اكتسبت زوجته مزيداً من الثقة بالنفس والنضوج يزيدان من سحر نظراتها. تردد لحظة ثم قال:

«بالنسبة لي، ليس القدر هو الذي جمعنا، ولا شيء يرغمنا على البقاء معاً... لا شيء... أتفهمينني؟».

«ولكننا متزوجان» اعترضت وقلبها يدق بسرعة.

«زواج ليس كاملاً بالامكان دائماً الغاؤه» قال دون أن

يرفع نظره عنها.

«تريدني اذاً أن أرحل؟» سألته بقلق وحزن ظاهرين.

«أتريد أن ترسلني الى انكلترا كأية آلةٍ لبست مناسبة لمصنعك؟».

«لا، ولكن كامرأة قيّمة تستحق الافضل» قال بحزم فأخذت الفتاة ترتجف.

«لدي حياتي هنا» قالت بعناد.

«هذه ليست حياة. أنت اعترفت بذلك، الا تذكرين؟».

«كان ذلك منذ زمن بعيد. أما الآن، فأنا أقبل بواقعي».

«أيمكنك أن تقسمي بذلك؟».

هزت رأسها بعجز.

«لقد أخطأت بحقك، كاميلا عندما وافقت الزواج منك. أنت امرأة مميزة جداً. لن أسامح نفسي. قبل أن أتعرف اليك، كنت مقتنعاً بقليل من أهمية هذا الزواج المدبر. لم أكن أشك بقدرتك على الانثناء مع ارادتي. أردت اسعاد والدتي ومتابعة عملي الذي أحبه. لكنني نسيت أن أدخل مشاعرك في حساباتي. أما الآن، فقد تعرفت اليك جيداً وبدأ تصرفي معك. يرعبني. أنت امرأة رائعة، كاميلا، تستحقين حياة أفضل وتستحقين انجاب الأولاد. لا يمكنني الاحتفاظ بك هنا

لأنني أكن لك اعجاباً كبيراً».

«أنا لا أريد اعجابك» صرخت غاضبة وانهمرت دموعها لطالما حبستها. «أريد حبك، جافيه!».

«لست حراً لمنحك حبي».

ساد صمت طويل قطعته كاميلا.

«اعذرني، يجب أن أنتهي من هذه الحسابات قبل عودتي الى المنزل».

نهض جافيه وتركها وحدها فأنهت عملها ثم أخذت تفكر بما دار بينهما. ان زوجها صادق معها، يعترف بصراحة انه ليس حراً بحبها. قلبه مشغول. صحيح أنه لا يستطيع الزواج من أنيلا، لكنه يبقى مخلصاً لها، فكيف يمكن لكاميلا أن تلومه؟.

عادت الى المنزل ولقد باتت متأكدة من أن جافيه سيعيدها الى انكلترا لأنه سبق وأكد لها أنه لا يعود عن قراراته. «لكنني لن أتوقف عن حبه، لن يتمكن شيء في هذا العالم من تغيير مشاعري نحوه».

وقفت خلف نافذتها تتأمل هطول الامطار. ما ان يتحسن الطقس حتى يطلب منها جافيه الرحيل. عندما يطلب منها ذلك، لن تتوسل اليه البقاء، ستجمع حقائبها وترحل رافعة الرأس بدون دموع وبدون لوم وعتاب. بانتظار ذلك، هي ممتنة للموسم والعواصف لأنه يؤخر انفصالهما النهائي.

كانت راتنغالا معزولة منذ بضعة أيام عندما جاء أحد العمال وطرق باب المنزل بطريقة مفاجئة وملحة. بعد أن تبادل بضع كلمات معه، ارتدى جافيه جاكيتته الواقية وخرج مع الرجل. اعتقدت كاميلا أن نزاعاً عادياً شب بين العمال، لكنها علمت بعد عودة جافيه أن المسألة أخطر من ذلك.

«هناك عاملان مريضان جداً. انتابتهما حرارة مرتفعة وتقيوء وآلام في المعدة. عزلتهما في الغرفة التي نعتبرها كمستشفى مؤقت. أتمنى أن لا تتضاعف هذه الحالة».

«لكنك لا تبدو متفائلاً. ماذا تخشى؟».

«أن تكون هذه عوارض الكوليرا. أتمنى أن أكون مخطئاً».

في المساء عاد جافيه الى القرية.

«لا تزال حالتهما كما هي. أمرت بأن يغلي الجميع الماء والحليب قبل شربه وأن لا يأكلوا شيئاً نيئاً ووضعت منخلاً على نوافذ المستشفى كي لا تنقل الحشرات المرض. لا نستطيع الآن احضار طبيب من المدينة بسبب حالة الطقس والطرقات».

في اليوم التالي ظهرت ثلاث حالات أخرى.

«انها الكوليرا، أليس كذلك؟» سألته كاميلا عندما رأت شحوب وجهه.

www.rewity.com
RAYAHEEN

«للأسف نعم، أتعرفين شيئاً عن هذا المرض؟».

«اوه، نعم. كنت صغيرة عندما هاجم هذا المرض كالكوتا. حتى انني أنا أصبت بهذا المرض، لابد انني أصبحت محصنة».

«هذا أفضل. لأنني سأكون بحاجة لكل الارادات الطيبة».

«نعم، يجب أن نعالج هؤلاء القوم المساكين. اعتبرني تحت تصرفك، جافيه».

«هذا المرض مخيف ومعد، حتى انه مميت، كما وأن معالجة المرضى المتألمين والمصابون بالقيوء والاسهال لن يكون سهلاً، نحن بحاجة للكثير من الشجاعة».

«قلت لك أنني سأساعدك، وكذلك موهيني، أنا متأكدة».

«موهيني بنغالية وتعالج تاماليين؟ أنت لا تفكرين بالأمر جدياً!».

«هؤلاء التاماليون مريضون، فتزول الفوارق الاجتماعية أمام المرض. أنا متأكدة أن موهيني لن تعارض، سأبحث عنها».

لم تتردد موهيني لحظة واحدة ورحلت مع سيدتها وسيدها الى الحي التاميلي.

المستشفى مؤلفة من مبنى صغير يضم عدة اسرة،

كانت كاميلا تعلم أن أفضل طبيب لا يمكنه شيء أمام هذا المرض، الشيء الوحيد الذي يمكنه فعله هو أن يحد من انتشار الوباء. لكن كان من بين المصابين الجدد أطفال ولا يمكن عزلهم عن والداتهم. وافق جافيه على هذه الفكرة لكنه أصر على عدم السماح لهذه الأمهات بالعودة الى القرية كي لا ينشرن الوباء أكثر، كما وأنهن قادرات على مد يد المساعدة.

امتلأت كل الأسرة بسرعة، يبدو أن الوباء ينتشر كانتشار اللهيب في القش.

طوال النهار، لم يتوقفوا عن تنظيف المرضى والأسرة والأرض بالمياه الساخنة المضاف اليها مادة الفينول. وكانوا يغلون المياه ويسقونها للمرضى كي يقاوموا التجفاف. في البداية كان الجو العام لا يحتمل، لكنهم اعتادوا عليه شيئاً فشيئاً.

بعد الظهر، جاءت السيدة لوسيا تحمل زجاجة كبيرة تحت ذراعها. عرضت خدماتها على ابنها الذي رفض بحدة.

«يجب أن تعود الى عملك في المصنع يا بني، مكانك ليس هنا، بإمكاني أنا أن أقوم بما تقوم به هنا...».

بعد أن خرج رغماً عنه، سألتها كاميلا عن هذه الزجاجة، فأخبرتها انها دواء للكوليرا كان قد تركه د.

دايفس ذات يوم وأنه مؤلف من مزيج من الأملاح والمنتجات المعدنية لمقاومة التجفاف.

«ليس لدينا غير هذه الزجاجة، فمن غير المفيد أن نضيعها على من حالتهم ميؤس منها».

وزعت كاميلا الدواء على المرضى وهي تفكر بمبادرة حماتها التي يملأها الحماس.

بعد ساعة ظهر فيليب متردداً أمام باب المستشفى مبللاً بالأمطار.

«ادخل، فيليب، لا تبق تحت المطر».

«لا، كاميلا، الأمر أقوى مني، لا يمكنني رؤية الناس المتألمين، اذا كان بإمكاني القيام بشيء آخر...».

ابتسمت كاميلا لأنها تعلم أن الناس ليس كلهم سواء، ويصعب على بعضهم تحمل النظر الى المتألمين، بالنسبة لجافيه، كان شجاعاً جداً ذلك لأنه صاحب روح مميزة. فقبلت بمساعدة فيليب وحملته مع لال مهمة نقل المياه الساخنة والشاي بين المنزل والمستشفى.

لم يكن أحد في ملجأ من العدوى، لكن هذه الفكرة لم تكن تخيف كاميلا. كانت تعلم أن جافيه مصمم على ارسالها الى انكلترا، فكل شيء لديها سيان الآن، حتى الموت، فأخذت تهتم بالمرضى بكل تفان ولطف

وصبر طيلة اليومين التاليين، حتى بدا التعب عليها. كان قد توفي حتى الآن ثلاثة مرضى وطفل. بينما كانت كاميلا تحاول مؤاساة والدته، سمعت صوت جافيه خلفها.

«لا يمكنكن المتباعة على هذا الشكل، يجب أن ترتاح كل واحدة بدورها» قال للممرضات المتطوعات.

«أرسل زوجتك لترتاح أولاً» نصحته والدته. «انها تقتل نفسها من شدة التعب».

«توقفي، كاميلا» أمرها جافيه على الفور. «اذهبي الى المنزل، بدلي ملابسك وتمددي قليلاً».

اعترضت كاميلا، لكنه أمام عنادها، دفعها الى الخارج تحت المطر الشديد ثم أمسك ذراعها وقادها نحو المنزل رغماً عنها. لم تكن تدرك مدى تعبها الى أن استحمت وبدلت ملابسها وتمددت على السرير فنامت على الفور.

«كاميلا...».

تململت في فراشها ولم تفتح عينيها.

«كاميلا، افتحي عينيك!».

انتفضت فجأة مذعورة فوجدت جافيه يتأملها بنظرات غريبة.

«لقد حان موعد العشاء، لابد انك جائعة، لقد تعبت كثيراً هذين اليومين».

«لا يمكنني أن أضع شيئاً في فمي» وأبعدت نظرها عن صينية الطعام».

«يجب أن ترغمي نفسك على ذلك، كاميلا، وإلا لن تتمكني من الاستمرار بعملك. الطعام لذيذ، كلي، وإلا سيغضب لال كثيراً» وأخيراً نجح جافيه بإطعامها طبقها كله.

«يجب أن أعود الى المستشفى كي ترتاح والدتك، لقد أدهشتني بتفانيها».

كانت كاميلا تعلم مدى حبه لوالدته، ألم يتزوج منها فقط ارضاءً لها؟.

«لا يمكنني القول بأنك كنت محظوظة في هذا المنزل، كاميلا» قال جافيه وهو ينظر اليها بحنان. «لقد أساءت شقيقتي استقبالك، وأخي حاول اغراءك. أما مع والدتي، فأنت لا تعرفين كيف تحصلين على رضاها. ولتتويج كل ذلك، توفيت مربيتك فجأة، وأنا... لا أستجيب لآمالك...».

«أنا لا ألوم أحداً في هذه العائلة» أجابته بمحبة وصدق. «فجميعهم كانوا ضحية للظروف».

«أنت متسامحة جداً، كاميلا، هل يمتد تسامحك ليطالني أنا أيضاً؟».

«نعم» أجابته بدون تردد. «أنا لا أكن لك أي حقد، أنت لا تستطيع منع نفسك من حب أنيلا، ولن أعارض

رغبتك في أن تكون حراً».

«رغبتي الوحيدة هي في أن تكوني أنت حرة. الا تفهمين ذلك؟» قال بحدة.

«لا، ليس أنا، بل أنت من يحب امرأة أخرى...».

«حان الوقت لتعرفي الحقيقة، كاميلا» قال بيأس وهو ينهض اتجه نحو النافذة ثم عاد اليها. «أنيلا ليست سبباً في زواجنا الصوري، وأنا لم أحبها أبداً».

«لكنها عشيقتك».

«في البداية كانت عشيقة والدي. غضبت والدتي كثيراً وأجبرته على قطع علاقته بها. فقطع كل علاقة له بها، لكن والدتي ومع حالتها العصبية ظلت تشك به الى أن أقنعتها أنا بأنني أنا عشيق أنيلا وليس أبي».

«لكنها لا تزال مقتنعة بذلك، وفيليب أيضاً وأنا».

«لكنني طردت أنيلا من المنطقة منذ مدة طويلة».

«طردتها؟ لكنها لا تزال هنا، لقد رأيتها بأم عيني».

«متى، وأين؟» سألها بدهشة. «لقد سمعت وتأكدت بأنها رحلت الى كولومبو».

هكذا اضطرت كاميلا لإخباره بنزهتها الليلية الى المعبد.

«انه من الجنون خروجك وحدك ليلاً الى الغابة» لامها بحدة.

«لكنني لم أصب بأي مكروه».

«كفاك حماقة، كاميلا. اذا كنت أرفض مشاركتك غرفتك فهذا لا يعني أن سلامتك لا تهمني».

«حقاً؟» سألته بسخرية. «لكنك ترفض بعناد حبي لك، لماذا؟ لأنني لست فاتنة كأنيلا؟».

«كاميلا، لا يمكنني أن أعرض فتاة جميلة وبريئة مثلك لمخاطر أن تصبحي زوجتي بكل معنى الكلمة».

«مخاطر؟ أية مخاطر؟».

«تلك المخاطر التي تهدد سلالة العائلة منذ عدة أجيال» أجابها وقد شحب وجهه فجأة. «انه الجنون، كاميلا. أنا لا أتكلم فقط عن التوتر والعصبية التي تلاحظينها أحياناً عند والدتي، ولكنها مجرد بدايات لهذا المرض. منذ مئتي عام، وفي كل جيل يظهر أحد أفراد العائلة لجهة أمي كضحية للجنون. انتهت أيام جدتي لأمي في مأوى المجانين. والدتي تعرف انها عاجلاً أم آجلاً ستلقى نفس المصير» تردد لحظة ثم أضاف: «كما وأن هيلين ظهرت لديها عوارض مماثلة في طفولتها. لهذا السبب لا يمكنني أن أمنحك طفلاً قد يرث الجنون الذي تتناقله العائلة».

ساد صمت بينهما، وكاميلا تفكر بكل ما سمعته.

«لكن والدك جازف بإنجابك أنت وأشقاءك».

«هذا بسبب طبيعته المغامرة. كما وأنه كان بحاجة لمال والدتي... والدتي لا تزال مصممة على استمرار

نسل العائلة وكنت أعتقد انني أريد ذلك أيضاً، لكن ما ان رأيتك بجمالك وذكائك أدركت على الفور أنه لا يمكنني أن أجازف هذه المجازفة. شخصياً يؤسفني أن أحد من نسل العائلة. ان ثروتي لا تهمني كثيراً. كان يجب أن أعيدك فوراً الى انكلترا، لكنني لم أفعل، وألوم نفسي على ذلك. سامحيني، كاميلا».

ورمى نفسه على الكرسي ووضع رأسه بين يديه، يبدو منهاراً بعدما كشفه لزوجته من حقائق. تأثرت كاميلا كثيراً برؤيته على هذه الحال، انها تحبه كثيراً. وبدون أي تردد، نهضت واقتربت منه وضمته اليها:

«اوه، حبيبي!» تمتمت بصوت مخنوق.

ظل بين ذراعيها للحظات قبل أن يدفعها عنه بهدوء ولكن بحزم.

«لا تكرري ذلك مرة أخرى» قال بلهجة مليئة بالعذاب. «أبداً، أتفهمين؟».

«اوه، جافيه قل لي شيئاً واحداً ثم لن نتكلم بهذا مرة أخرى، أعدك، قل لي فقط انك تستطيع أن تحبني اذا...».

نظر الى قامتها الرشيقة ووجهها الجميل المحاط بشعرها الناعم والى عينيها اللوزيتين المتوسلتين.

«نعم» أجابها بابتسامة حزينة.

عندئذ، تركته وخرجت من المنزل وعادت تحت

المطر الى المستشفى.

مرت الأيام ولم تلاحظ كاميلا مرور الوقت، كانت منهمكة جداً بمقاومة الوباء المتفشي في القرية. كل الاسرة ظلت مليئة في المستشفى والأعمال شبه معلقة في المزارع. أما المحارق فقد اشتغلت على ضفاف النهر، فالعمال يرافقون موتاهم ببطء قبل أن يرموهم في النيران المطهرة.

كانت كاميلا تقف أمام النافذة تحدق بالدخان المتصاعد من المحارق عندما دنا منها فيليب.

«يا لهذه العادات القاسية! لم يعد بإمكاني التحمل أكثر. اذا خرجت سليماً من هذا الجحيم، سأنخرط في الجيش وأتخلص من البطالة».

«انها فكرة ممتازة، فيليب. المهم، لا تكن متشائماً، فالوباء لا يصيب الجميع».

«ما الذي يؤكد أن المرض لن يصيبني أنا أيضاً. الموت سيهاجمنا بين يوم وآخر. يعجبني هدوءك وصفاءك، كاميلا».

منذ ذلك اليوم الذي اعترف لها جافيه بتلك الحقيقة المخيفة عن عائلته من جهة أمه، لم يأت على ذكر هذا الموضوع مرة ثانية. من جهتها، كاميلا وفت بوعدها ولم تثر الموضوع من جديد وحاولت أن لا تفكر به حتى. ان مشاغلها تشغل كل وقتها. ولكنها أحياناً،

عندما كانت تنظر الى دونا لوسيا تتجول بين المرضى، كانت تتساءل اذا كان بإمكانها هي أن تتحمل هذا المرض وهي تعلم أنه يقضي ببطء على عقلها. كم تعذبت هذه الأم وهي تراقب نمو أبنائها مع الحذف من رؤية دلائل هذا المرض عليهم!.

الأمر صعب جداً، ولكن لو كان جافيه منحها حرية الاختيار، لكانت كاميلا وافقت على هذه المجازفة بدون تردد. لكنه لم يترك لها أي أمل. لكنها بالوقت نفسه كانت تشعر بشيء من الراحة لأنها علمت أنه لولا هذا السبب الذي يهدد نسل العائلة بالجنون، لكان الحب أزهر بينهما.

أمام كل هذه الآلام والأحزان، واجهت كاميلا مخاطر المرضى بشجاعة والى جانبها، دونا لوسيا تبذل كل جهد ولا تهتم بتعبها. لكن موهيني هي التي انهارت أولاً، فاليوم وقع منها وعاء الماء المغلي الذي كانت تحمله لأحد المرضى، فتجهم وجهها وارتجفت يدها وانهمرت الدموع على وجهها.

«لا بأس، موهيني» قالت لها كاميلا محاولة تهدأتها. «أنت متعبة فقط».

لكن الفتاة الهندوسية بدت وكأنها لا تسمع فأجهشت بالبكاء المرير.

«أخرجيها من هنا، كاميلا. يجب أن ترتاح» قالت

السيدة لوسيا وطلبت من احدى النساء تنظيف الأرض.

ولكن ما ان وصلتا الى الشرفة، حتى وقعت موهيني على الأرض.

«آه، لم أتمنى أبداً أن يحصل أمر مماثل، أقسم لك».

«أصدقك، موهيني، انه القدر وإرادة الله».

«ولكن الآلهة تتصرف أحياناً بناءاً على إرادة البشر، وبعض البشر يملكون قدرات كبيرة على السحر».

«تقصدين القدرة على السحر، ولكن مَنْ هنا يمارس السحر ويسمح بتدخل الأرواح الشريرة؟».

«أنا» أجابتها موهيني ببساطة. «ولكني لست أنا من تسبب بانتشار هذا الوباء، أقسم لك!».

«هيا، موهيني، ان كلامك غريب. أنا أعرفك جيداً، فهل كان بإمكانك ممارسة هذا النوع من السحر دون أن ألاحظ؟».

«انت تعتقدين انك تعرفينني. انت تعرفين فقط تلك الفتاة التي أحاول جهدي أن أكونها. ولكن هذا ليس سوى قناع...».

أخذت كاميلا تتأملها بدهشة وإشفاق، فأضافت الهندوسية:

«هل أخبروك كيف مات السيد بلانتاين؟».

«نعم، وجدوه ذات صباح ميتاً في غرفته و...».

«أنا من قتله... صحيح انني لم أستعمل العنف معه، لكني فقط تمنيت موته. فمات، الا تصدقينني؟».

«لا، لقد تعبتِ كثيراً في الأيام الأخيرة، موهيني، يجب أن ترتاحي، هيا بنا».

«أنا قتلته، أكرر لك. لقد دفع تكاليف تعليمي وإقامتي في كولومبو التي عدت منها وأنا مختلفة، أرتدي الملابس الأوروبية وأختلف عمن هم ولي. لكن علمي لم ينفعني هنا، أردت أن أفتح مدرسة صغيرة لأولاد القرية وأعلمهم القراءة والكتابة والدين، لكن السيد بلانتاين الكبير لم يرد الاصغاء اليّ. وقال بأن التاماليين ليسوا بحاجة لثقافتنا، هكذا لم يعد بإمكاني الا العمل في المطبخ مع والدي بعد كل ما تعلمته...».

«كان يجب أن تحدثيني عن هذه المدرسة، موهيني. ربما أخطأ السيد بلانتاين برفض الفكرة لأن العلم لا يضر أحداً... ولكن مع ذلك، أرفض تصديق فكرة انك السبب وراء موته».

«رغبت بموته، فمات. وإلا كيف تشرحين وفاة مربيتك فاني أيضاً؟».

«فاني؟» سألتها كاميلا بدهشة كبيرة. «ما علاقتها بالأمر؟ كنت تحبينها، على ما أعتقد. لن تتهمي نفسك الآن بأنك أيضاً المسؤولة عن وفاتها!».

«بلى» أكدت موهيني. «نعم، كنت أحبها، ولكني بالوقت نفسه كنت أحسدها على وضعها المميز بجانبك. يوم زواجك، قلت لنفسي، لو حصل لها مكروه فإني سأحتل مكانها...».

«انت تتوهمين، موهيني! عندما ترتاحين، سترين الامور بمنظار آخر».

«أنا أرى الأمور كما هي!» صرخت موهيني غاضبة. «لأنك أنت ترفضين رؤية الحقيقة ولا تقبلين بالأمور الغامضة... لهذا السبب ذهبت تلك الليلة الى معبد شيفا».

«وما الذي أدراك، انت؟» سألتها كاميلا بدهشة، «هل كنت قد تبعتني؟».

«لا، كنت هناك قبلك. كنا هنا وحدنا بين تلك الأطلال».

ارتعشت كاميلا عندما تذكرت تلك الليلة ولمعت فكرة في رأسها.

«اذاً هذه أنت؟ انت هي الراقصة وليست أنيلا كما كنت أعتقد؟ كيف لم أفهم؟».

على الفور حلت موهيني عقدة شعرها الاسود الطويل وغيرت ملامحها وجلست كما كانت تجلس تلك الليلة.

«أتفهمين الآن؟ أنت رأيتني عن بعد وكنت تتوقعين

رؤية أنيلا. أنا من وضع هذه الفكرة في رأسك وفي رؤوس كل العمال في القرية. في الواقع، أنيلا لم ترقص أبداً في المعبد ولم تزره منذ رحيلها. كانت تهتم فقط ببيع جسدها، لهذا كنت أكرهها فجعلتها ترحل».

«ولكن جافيه هو الذي طردها، أخبرني ذلك بنفسه».

«أردت أنا أن ترحل، فرحلت، الأمر ذاته».

«ولكن لماذا تكرهينها لهذه الدرجة؟».

«لأنني أعبد زوجك، آنستي، أحببته بعمق منذ طفولتي وعند عودتي من كولومبو، زاد حبي له. لكنه لم يكن يعيرني أي اهتمام، علمت بأنه يحب أنيلا ولا يرى غيرها. ولكن بعد رحيلها، جئتِ أنت... فأدركت أنه لن يكون لي أبداً» وأجهشت بالبكاء. «اذا كنت للأسف أملك القدرة على تدميره، لكنني لا أملك القدرة على جعله يحبني. لكنني لم أفكر أبداً بإيذائه، لا هو، ولا أنت...».

«أفهم شعورك موهيني» قالت كاميلا محاولة تهدأتها.

«ألست غاضبة مني؟ لا يحق لي أن أحب زوجك».

«اسمعيني، موهيني، انت تتهمين نفسك بأحداث لا دخل لك بها».

«لا، أنت تحاولين ايجاد الاعذار لتصرفاتي، هذا مستحيل!».

«لقد نجحتِ، موهيني بإقناع أهل القرية بوجود

أنيلا. ربما تملكين بعض المقدرة، ولكنني لا أصدق انك استعملت هذه القدرة لأغراض شريرة. والآن يجب أن ترتاحي، ما ان ننتهي من هذا الوباء، سأبذل جهدي لإنشاء المدرسة التي كنت تحلمين بها».

«لن تطردينني؟» صرخت الفتاة بذهول.

«لا، أنت هنا في منزلك، والقرار يعود دائماً لك. هيا، الآن، أنا آمرك بالذهاب الى المنزل لترتاحي».

ابتعدت موهيني فعادت كاميلا لتهتم بالمرضى، في هذا اليوم لم تظهر علامات المرض على آخرين، ولم يتوف أحد المرضى. فقررت كاميلا أن تنام هذه الليلة في منزلها، يبدو أن الوباء بدأ ينحسر

في صباح اليوم التالي، كان المطر قد توقف فانطلق المزارعون الى الحقول، وغادر بعض المرضى المستشفى. تفاجأت كاميلا عندما لم تجد موهيني في المستشفى، فطلبت من فيليب أن يذهب الى المنزل ويبحث عنها، لكن فيليب عاد مسرعاً ولكن وحده.

«ليست في المنزل، كما وأن سريرها لا يزال على حاله، أي انها لم تبت ليلتها في المنزل. حتى أن والدها لم يرها منذ صباح الأمس».

«اسأل عنها مجدداً، لابد أن أحدهم رآها» ألحت كاميلا، فهز فيليب حاجبيه ثم انطلق للبحث عن الهندوسية، لكن أبحاثه لم تجد نفعاً، لقد اختفت

موهيني.

«لا يمكن أن تختفي هكذا!» صرخت كاميلا بقلق كبير. «يجب أن ننظم حملة للبحث عنها».

«لا تطلبي مني هذا» اعترض فيليب. «كما وأننا بحاجة لكل يد عاملة في المزارع».

«سأرى ما يمكنني فعله» قالت بحزم واتجهت نحو المصنع لتقابل زوجها.

استقبلها العمال بالترحيب، لكنها قصدت مكتب جافيه مباشرة.

«صباح الخير، كاميلا» قال بدهشة. «ما الذي جاء بك؟ كنت أعتقد أن المرضى يتحسنون!».

«هذا صحيح، ولكن لدينا مشكلة أخرى. لقد اختفت موهيني».

«اختفت؟».

«نعم، لم تنم في غرفتها ولم يرها أحد منذ الأمس».

«أتريدين أن نقوم بالبحث عنها؟».

بدت السعادة فجأة على وجهها القلق.

«اوه، أحقاً ستفعل؟ أنت تفتقد للرجال، أعلم ذلك، لكنني قلقة جداً عليها!».

«أنا لست بدون قلب، كاميلا» قال بحنان وهو ينظر الى قلقها. «كيف يمكنني أن أرفض لك طلباً بعد

تفانيك في معالجة العمال؟ أعلم مدى تعلقك بموهيني».

طيبته أثرت عليها كثيراً وكادت ترمي نفسها على صدره لكنها تذكرت تحذيره السابق.

جاب العمال المزارع حتى فترة بعد الظهر بحثاً عن موهيني ولكن بدون نجاح.

«يجب أن نجدها اليوم!» صرخت كاميلا في قمة قلقها. «سيحل الظلام واذا انتظرنا حتى الغد...».

تأملها جافيه طويلاً ثم قال:

«أشعر انك تخفين شيئاً عني، كاميلا ربما تخفين السبب الحقيقي لهربها...».

أخفضت كاميلا رأسها. كانت قد وعدت نفسها أن لا تخبر أحداً بما دار بينها وبين موهيني، وخاصة جافيه.

«بالأمس، أصيبت موهيني بالانهيار. كانت بحالة عصبية متوترة جداً، فأمرتها بالذهاب الى غرفتها لترتاح. لكني أخطأت لأنني لم أتحقق من طاعتها لي».

«لا تلومي نفسك، كاميلا. أنت أيضاً كنت متعبة. لنفكر قليلاً قبل أن نرسل الرجال للبحث عنها مجدداً. اذا كانت منهارة لهذه الدرجة، فإلى أين ستكون قد ذهبت؟ لنحاول أن نضع أنفسنا مكانها».

نظرت كاميلا اليه بدهشة.

«أنا شخصياً عندما أكون أمام صعوبات أصعد الى التلال. أما فيليب، فيذهب للصيد، أما أمي، فتنسحب الى غرفتها... أنا أعلم أن موهيني مؤمنة، ولكن لا وجود لكنيسة هنا يمكنها أن تلجأ اليها...».

«اوه، كيف لم أفكر بذلك؟ لابد انها ذهبت الى معبد شيڤا».

«لماذا تذهب الى هناك؟» سألها بدهشة.

«لأن جذورها الهندوسية أعمق بكثير مما يبدو. انها هناك، جافيه، أشعر بذلك!».

«لا يمكننا أن نهمل هذا الاحتمال» قال وهو ينهض. «لن أرسل أحداً للبحث عنها هناك، سأذهب بنفسي».

«سأرافقك».

«لا ضرورة لذلك، كاميلا، لا تزال الأرض رطبة و...».

«جافيه، أرجوك، دعني أذهب معك، أشعر بالمسؤولية تجاه موهيني، أرجوك».

«حسناً» وافق جافيه أمام ملامح الحزن على وجهها. «ارتدي ملابس واقية، سأسرج جوادين ولكن أسرعي، يجب أن نعود قبل حلول الظلام».

بعد دقائق قليلة غادرا المنزل على صهوة جواديهما. كما حذرها جافيه، كانت الطريق شاقة بعد أن زرعتها الامطار والسيول بالحفر. لكن قبل وصولهما، هبط

الظلام. فوضع جافيه قدميه على الأرض وساعد كاميلا لتفعل مثله ثم ربط الحصانين.

«لم يعد المكان بعيداً. سنتابع طريقنا سيراً على الأقدام. أعطني يدك» كان نور القمر ضعيفاً هذه الليلة وقد عاد المطر ينهمر خفيفاً.

تلفتت كاميلا حولها بقلق كبير. في الظلام، لا شيء يتحرك، عندما اقتربا من المعبد، ركضت كاميلا غير عابئة بالاشواك التي علقت بأطراف ثوبها. لكن جافيه، أمسكها.

«لا، كاميلا، دعيني أدخل أنا أولاً».

«يجب أن أجدها» قالت معترضة وهي تحاول التخلص من قبضته.

«اذا كانت هنا، سنجدها».

في هذه اللحظة لمع البرق فرأيا بوضوح قامة ممددة عند أقدام المعبد.

سرع جافيه خطاه. عندما انضمت كاميلا اليه لاهثة، كان جالساً على ركبتيه قريباً من موهيني يجس نبضها.

رمت كاميلا نفسها الى جانبه. كانت موهيني لا تزال مرتدية ملابس الأمس وشعرها الاسود الطويل مسترسلاً حول وجهها. كلها مبللة بالمياه، عيناها مغمضتان ووجهها شاحب. انها أشبه بهذه الآلهة الحجرية المنحوتة على الأعمدة.

«يجب أن نعيدها الى المنزل بأقصى سرعة» قالت كاميلا. «سأنزع معطفي وأغطيها به».

«لا فائدة من ذلك» تمتم جافيه بتأثر بالغ. «انها ميتة» وأدار وجه موهيني الى الجهة الأخرى. فرأيا خلف أذنها جرحاً عميقاً يختفي تحت شعرها الطويل الكثيف.

«لابد انها وقعت على أحد هذه الحجارة المسننة» قال جافيه ملتفتاً نحو زوجته.

أمسكت كاميلا جسد موهيني بين ذراعيها وأخذت تبكي على قدر هذه الفتاة.

نهض جافيه وتركها وحدها مع حزنها ليعود بعد لحظات ويضع يده على كتفها.

«هيا بنا الآن، كاميلا. يجب أن نعيدها الى المنزل» ثم انحنى ورفع موهيني بين ذراعيه وحملها الى المكان حيث تركا الحصانين.

كم كانت ستكون سعيدة لو علمت موهيني انها بين ذراعي الرجل الذي أحبته منذ طفولتها! فكرت كاميلا بحزن. وأخيراً هي هنا، حيث تمنت أن تكون...

وضعها جافيه على حصانه بهدوء وربطها جيداً. ثم قاد الحصان فتبعته كاميلا على حصانها وسارا بصمت وحزن.

عند اقترابهما، خرج العمال التاماليون من منازلهم وأخذوا يتأملون المشهد بصمت.

يبدو أن الخبر انتشر بسرعة، لأن فور وصولهما الى المنزل، كان كل الخدم بانتظارهما أمام الباب.

عندما تلقى لال جثة ابنته بين ذراعيه، لم تذرف عيناه أية دمعة، ظل وجهه حاداً. لكن كتفيه بديا مثقلين من الهم والحزن.

اقتربت كاميلا منه ببطء.

«أنا آسفة، لال. وعدتك بالسهر عليها، لكن يبدو انني فشلت في هذه المهمة» قالت والدموع في عينيها.

«هذا قدرها» قال الرجل متمالكاً أحزانه.

اذا كانت هذه الفتاة الهندية التعيسة تمزقت في حياتها الدنيا بين ديانتين، ففي الموت ينتزع منها هذا الخيار لأن لال أعد لها المحرقة التقليدية كما اعتاد قومه على توديع موتاهم. وهكذا في اليوم التالي، تم احراق الجثة على ضفة النهر.

«لست أدري اذا كانت سترضى عن هذا؟» قالت كاميلا بلهجة العتاب وهي تنظر من خلف النافذة الى الدخان المتصاعد من المحرقة.

رماها جافيه بنظرة خالية من المودة.

«ليس مهماً ما تريده هي أو أنت. المهم هي إرادة لال، هو الذي قرر وعلينا احترام قراره. كما وأنني...» أضاف وهو ينظر اليها بمرارة. «لا أستطيع أن أكون فكرة عن الموضوع... فأنت وحدك التي

تعرفين الحقيقة، كاميلا، أشعر بذلك. أنت وحدك تعلمين ما الذي دفع موهيني الى تلك الأطلال حيث كان حتفها ينتظرها ولكن، كالعادة، أنت لا ترين أنه من الضروري توضيح الأمور لي» نظرت اليه كاميلا بغضب.

«هذا السر لا يخصني، ولو قدر لنا أن نعيش معاً مئة عام أخرى، فلن تستطيع أن تنتزع مني هذا السر».

«من الأفضل اذاً أن لا نعيش معاً» قال بجفاف. «لن أعبأ بامرأة تخفي عني أسراراً».

«أنت لا تعبأ بي أبداً؟» أجابته بحدة وقد أحست بجرح في كبريائها. «ما ان نطمئن الى التخلص من داء الكوليرا وتصبح الطريق الى نوارا إليا آمنة، سأرحل بكل سرور».

نظر اليها بهدوء ثم قال.

«طالما اننا مهددون بالتقاط الكوليرا ونقلها، ستبقين هنا. في المصنع، لدي صناديق كثيرة مليئة بالشاي بانتظار تصديرها. لكنك لن تغادري راتنغالا قبل أن يتبدد المرض نهائياً».

«أنا لست صندوق شاي في مصنعك» أجابته بانفعال شديد. «أنا كائن بشري».

«اذاً، تصرفي بتعقل» أجابها بجفاف. «صدقيني، أنا أشاركك رغبتك بانتهاء هذه المهزلة التي لا تطاق، ولكن حالياً، لدي اهتمامات أخرى أكثر خطورة».

لحسن الحظ، لم يكن لدى كاميلا متسعاً من الوقت لمواجهة جافيه، فقد بدأ المرضى يتماثلون للشفاء، لكن حالتهم تتطلب بعض العناية. كما وأن دونا لوسيا انهارت هذا الصباح تحت وطأة التعب.

«أنا لم أعد شابة» قالت دونا لوسيا بأسف. «في سني، ليس من السهل قضاء الليالي بالسهر والنهار بالتعب».

«لقد بذلت جهوداً كبيرة في المدة الأخيرة» أعلنت كاميلا وهي تنظر الى وجه حماتها الشاحب. «يجب أن ترتاحي، وسأتصرف أنا وحدي، لا تقلقي».

في المساء، تناولت كاميلا العشاء وحدها مع فيليب، بينما حملوا العشاء لدونا لوسيا الى غرفتها وتناول جافيه وجبته في المكتب.

كانت الرياح الموسمية قد خفت وأصبح بإمكان العمال العودة بشكل شبه طبيعي الى القطاف. هكذا كان جافيه مشغولاً بالتنقل بين المزارع والمصنع يحاول تعويض الأيام الماضية، ولهذا لم يكن لديه متسع من الوقت ليتناول العشاء في المنزل.

رغم موقفه منها، لم تتمكن كاميلا من أن تمنع نفسها من التفكير به وكان شيء يحدثها بأنه لا يتجنبها بملء إرادته، لكنه مقتنع انه من الأفضل أن لا يجتمعا وحدهما. ربما هو على حق، وربما عليها أن تكون

ممتنة له. إلا انها كانت تفتقده كثيراً.

قبل أن تأوي الى غرفتها، طرقت باب غرفة حماتها لتطمئن عليها. فتحت لولا لها الباب وهمست بأذنها:

«السيدة لوسيا نائمة».

بعد أن استحمت، سرحت كاميلا شعرها وجلست أمام المرآة تتأمل نفسها وتفكر بموهيني وقدرها المأساوي. تنهدت بعمق. أين ذهب اشراق شبابها؟ انها ترى أمامها وجهاً شاحباً لامرأة نضجت كثيراً بفعل التجارب الأخيرة التي شهدتها. ان عينيها تعبران عن كآبة كبيرة.

فجأة انتفضت عند سماعها طرقات على بابها.

«كاميلا».

انه صوت جافيه.

«أيمكنني الدخول؟ للحظات فقط...».

«نعم، بالتأكيد» أجابته محاولة تمالك مشاعرها.

كان جافيه لا يزال مرتدياً ملابس العمل. يبدو انه عاد لتوه من المصنع. كانت ملامح التعب بادية على وجهه.

«لا يجب أن ترهق نفسك هكذا، جافيه!» قالت بدون تفكير. «اذا استمريت على هذا النحو، ستذبل وتفقد قواك!».

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه.

«أنت محقة، كاميلا، سأذهب للنوم. لقد مررت على المستشفى، الحمد لله، ليس هناك اصابات جديدة».

«نعم، لقد انحسر الوباء، على ما يبدو».

«على كل حال، لا يزال الوقت مبكراً لتتأكد من ذلك. ولكن، أخيراً، هذا أمر مشجع».

اقترب من المرآة والتقت نظراته بنظرات زوجته.

«كاميلا، أنا... كنت أريد أن أعتذر عما بدر مني... فمنذ انتشار الوباء، لم يفعل أحد ما فعلته انت. والله يعلم اذا كنت مصيبة لو كرهتنا جميعاً. كان يجب علي أن أفكر بتعبك وتوترك العصبي وحزنك على وفاة موهيني وأن لا أتفوه بما تفوهت به. أرجو أن تسامحيني».

«أسامحك، جافيه، وأنا لا أحقد عليك أبداً. أنا أيضاً ألوم نفسي لاندفاعي وتسرعي، لقد تكلمت بدون تفكير. لننسى كل هذا، أتريد؟ ربما يمكننا الانفصال حبياً وأن يترك كل واحد في نفس الآخر ذكرى طيبة... من الاحترام والمحبة».

«احترام ومحبة؟» ردد جافيه دون أن يرفع نظره عنها. «أتعتقدين أن هذا ممكناً؟».

لشدة تعبه، جلس على السرير، وقبل أن تتمكن كاميلا من الرد على كلامه، أخذه التعب، فتمدد على

www.rewity.com ARAYAHEENA

السرير وأغمض عينيه ونام.

ابتسمت كاميلا بحنان وهي تتأمله للحظات، ثم انحنت وبكل حذر، نزعت حذاءه ودست وسادة تحت رأسه وعادت تتأمله من جديد.

بعد وقت طويل، اطفأت المصباح وجلست الى جانبه. كانت تشعر بفرح مؤلم وهي تتأمله وتراقب أنفاسه المنتظمة. ستكون هذه أول وآخر ليلة يقضيانها معاً...

بعد قليل، شعرت بثقل جفونها، فتمددت بجانبه، أغمضت عينيها وغرقت في نوم عميق.

استيقظت كاميلا على احساس جميل رقيق. لمسة خفيفة كجناح فراشة تداعب جبينها، خدها، حنجرتها. تنهدت بلذة. يا الهي! يا له من حلم جميل! ليته يطول! ولكن فجأة، أدركت انه ليس حلماً، ففتحت عينيها.

لا يزال الوقت ليلاً، النور الوحيد آتٍ من أشعة القمر التي دخلت عبر دفتي النافذة. ولكن بإمكانها مع ذلك أن ترى جافيه، نعم جافيه منحنٍ فوقها وملامحه تشع بالحنان والحب والشوق والرغبة التي لم تلمحها في عينيه من قبل.

لم تقل شيئاً، فالكلمات كلها تعجز عن التعبير. نظرته هذه تكشف لها عن كل ما ترغب بمعرفته. أمسكت يده بيدها ورفعتها الى شفتيها.

التقت نظراتهما طويلاً وكأنهما يكتشفان أحدهما الآخر. ثم، وبكل رغبة ضمها بين ذراعيه وغطى وجهها بقبلاته الحنونة قبل أن يتناول شفتيها.

لم يكن جافيه يملك القوة على المقاومة ضد رغبته وتلك الرغبة التي لمحها تلمع في عيني زوجته.

أطلق كل واحد منهما العنان لانفعالاته التي لطالما كبتها. داعبت يداه المرتجفتان جسد كاميلا وأطفأت يداه المحترقتان النار التي تلتهمها واختفت كل إرادة واستسلما لموجة اللذة تحملهما الى عالمها.

بعد لحظات الثمل التي عرفتها بين ذراعيه، رفعت نحوه وجهها المشرق فلاحظت أنه يتأملها بفرح يخالطه شيء من الكآبة.

«أنت تعرفين كل شيء الآن، يا حبيبتي» تمتم بابتسامة واهية. «لم يعد بإمكاني أن أخفي مشاعري عنك، أحبك كاميلا».

تلألأت دموع الفرح في عينيها، فدست رأسها في كتفه. أية سعادة مطلقة في سماعه يلفظ هذه الكلمات التي لم تكن تأمل بها!.

لكن خلف رقة هذه الكلمات، هناك مرارة جعلت قلبها ينقبض.

«أنا أحبك أيضاً، جافيه، أحببتك من اليوم الأول» همست بأذنه من كل جوارحها.

«وأنا أيضاً، أحببتك من اليوم الأول، لكنني حاولت أن أكتم العواطف التي أكنها لك» وقبل عنقها بحنان. «من النظرة الأولى، علمت انك قدري. ولكنني اضطررت أن أكون فظاً معك كي أبعدك عني» وقبل يديها. «قاومت بيأس تجاه سحرك وجمالك وذكائك. لكن أحياناً، تعود الطبيعة البشرية وتفرض نفسها. تصوري انني عندما رأيتك بين ذراعي فيليب، اعتقدت انني سأجن من الغيرة!».

«لا يمكن مقاومة حب قوي كحبنا» أكدت له كاميلا.

«أعتقد ذلك» قال بمرارة. «اكتشفت انني أضعف مما كنت أتخيل. اوه، يا حبيبتي، أنت جميلة جداً وأنت نائمة وشعرك على الوسادة! لم أستطيع مقاومة أن أتحسسك. لم أكن أريد ايقاظك. فكرت انني سأداعبك ولن تدري أبداً طالما انني كنت مصمماً على الاستمرار بالكذب عليك. ثم، عندما فتحت عينيك ونظرت اليّ، نسيت كل شيء، إلا الرغبة التي تدفعني نحوك. آه، فقط لو يمكنني أن أمحو...».

«لا تقل هذا» قاطعته واضعة اصبعها على شفتيه. «لست نادمة. هذه اللحظات الرائعة التي عشناها لتونا، كانت أجمل لحظات حياتي كلها».

«وكذلك بالنسبة لي أيضاً» اعترف جافيه. «لكن، سيكون من الصعب علينا الآن الغاء زواجنا. لن تتمكني

من ايجاد رجل يمكنك أن تعيشي معه حياة طبيعية بعد ما حصل بيننا».

«الا تزال تريد اعادتي الى انكلترا؟ حتى الآن؟».

«يجب ذلك. لم يتغير شيء، الا اذا فكرنا جيداً بما سنفقده. لكن، كاميلا، لا يمكنني العيش معك وأنا أتساءل يومياً اذا كنت قد وهبتك جنيناً يحمل ذلك المرض الوراثي، كما أتساءل الآن اذا كنت قد فعلت...».

ابتسمت كاميلا في الظلام دون أن يراها. انها تفهم معاناة جافيه، لكنها، كامرأة، ترى الامور من منظار آخر. اذا كانت هذه اللحظات الرائعة التي قضتها معه قد جعلتها تحمل بطفل الرجل الذي تحبه كل هذا الحب، ستنجبه بكل فرح وسعادة ولن يجعلها أي شيء في العالم تتخلى عن سعادتها بكونها أماً.

ضمت زوجها بين ذراعيها تستمع الى دقات قلبه المتسارعة، فاستولت عليهما الرغبة من جديد.

«ربما فات الأوان» همست بصوت مرتجف. «لكن المستقبل لا يخيفني، جافيه، لا أطلب منك الا شيئاً واحداً... امنحني هذه الليلة... هذه الليلة فقط».

كان الفجر الزهري يلون التلال المجاورة عندما ناما أخيراً. مهما حصل، قالت لنفسها وهي تغفو بين ذراعي زوجها، ستواجه الأمر بشجاعة.

فإذا طلب منها الرحيل، ستطيع أوامره بدون نقاش، فهي مثله، مسؤولة تماماً عن لحظات ضياعهما في عالم اللذة هذا. ستقبل قراره دون أن تلجأ لابتزازه عاطفياً مستغلة هذه الليلة التي قضياها معاً كوسيلة لإجباره على الاحتفاظ بها في منزله. اذا طلقها أو اذا كرس زواجهما، لن تهتم أبداً. يكفي انها تعلم بأنه يحبها كثيراً. لا شيء يغير من حبهما لبعضهما.

في وقت متأخر من الصباح، استيقظا مرعوبين على طرقات عنيفة على الباب.

«من؟» تمتمت كاميلا بصوت أضعفه النعاس.

«أنا، لولا... يجب أن أكلمك».

ارتدت كاميلا قميص نومها بسرعة ونهضت لتفتح الباب بقلق شديد.

«انها السيدة الكبيرة» قالت مدبرة المنزل والدموع على وجهها. «انها مريضة جداً منذ ليلة أمس».

«لماذا لم تخبريني ليلاً؟».

«منعتني من اخبارك. ولكن، ليسامحني الله! لا أستطيع البقاء صامتة. تعالي، أرجوك».

«ماذا يجري، لولا؟» سألها جافيه بقلق وقد ظهر خلف كاميلا يلف جسده بشرشف السرير.

«حرارتها مرتفعة جداً، سيدي، وتشعر بألم شديد في بطنها. اوه، يا الهي، أخشى أن تكون أصيبت بعدوى

الكوليرا!».

«عودي اليها» أمرها جافيه بحزم. «احتفظي بهدوئك. سنلحق بك بعد دقائق قليلة».

ارتديا ملابسهما بصمت وكلاهما قد نسي مشاكله الشخصية ولم يعودا يفكران الا بهذه المصيبة الجديدة.

«جافيه، لماذا لم تكن تريد والدتك أن تعلم بمرضها؟» سألته كاميلا وهي تتبعه في الممر بين الغرف.

«لسبب بسيط» أجابها بحدة. «وضعت في رأسها فكرة أنها تريد أن تموت وحدها».

كالعادة، كانت غرفة دونا لوسيا غارقة في الظلام، لكن جو الغرفة ورائحتها لم يترك لهما أي شك بطبيعة مرضها.

كان وجهها يعبر عن مدى ألمها وجسدها يرتجف من شدة الحرارة، وهذا ما يؤكد تشخيصهما للمرض. انه الكوليرا.

يا الهي! فكرت كاميلا بيأس. اعتقدنا ان الوباء انحسر، لكن يبدو انه يطرق بابنا من جديد.

«لم أكن أريد أن تعلما بمرضي» همست الوالدة وهي تضغط بيديها على بطنها وتحبس آلامها.

ثم التفتت نحو لولا وصرخت بها:

«لولا، كيف تجرأت على تخطي أوامري؟».

«لولا محقة بتحذيرنا، أمي» قال جافيه وهو يضع يده على جبين والدته المشتعل. «لم يكن هناك سبب لإخفاء مرضك عنا. أنت تعلمين أننا نواجهه بكل شجاعة».

ثم التفت نحو مديرة المنزل.

«لولا، هيا، اذهبي وأحضري زجاجة الدواء واغلي لها ماءً للشرب».

نجحت كاميلا بإقناع حماتها بأن تشرب قليلاً من الماء المغلي. الأهم بهذه الفترة من المرض محاربة التجفاف. ولكن بإخفائها عنهما أمر مرضها أربع وعشرين ساعة، جازفت دون لوسيا مجازفة كبيرة.

عندما أرادت كاميلا اعطاءها الدواء، أدارت حماتها وجهها رافضة بحزم.

«لا ضرورة لتبديد هذا الدواء الثمين» تمتمت بضعف. «لقد فات الأوان».

نظرت كاميلا الى جافيه وقرأت في عينيه عجزاً كبيراً.

«ألا يمكنك احضار دكتور دايفيس؟» سألته بصوت منخفض.

لكن دونا لوسيا سمعتها.

«أنت لطيفة جداً، كاميلا. لكن الدكتور لا يمكنه أن يفعل شيئاً لأجلي. لا يوجد دواء آخر غير ما قمنا به في

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

المستشفى طوال هذه الأسابيع. كما وأنه لا يجب وبأي ثمن أن نجازف بنقل العدوى الى منطقة أخرى».

جلس جافيه على حافة السرير وأمسك يد والدته بحنان وقلق.

«يجب أن تسمحي لنا بمعالجتك وأن تشربي الدؤاء، أمي» قال متوسلاً. «يجب عليك أن تقاومي المرض».

«لماذا؟» سألته وهي تنظر الى عينيه مباشرة. «كي أموت بعد عدة أعوام في مستشفى المجانين مقيدة كما توفيت والدتي؟ أحقاً تتمنى لي، جافيه مثل هذه النهاية؟».

«لا، أمي... لا... لا أتمنى لك ذلك أبداً» قال بعد لحظات من التفكير.

«اذاً... دعني أموت بسلام. لقد وصل المرض بي الى درجة مقدرة».

قضت كاميلا بقية النهار تهتم بدونا لوسيا قدر الامكان ولكن دونا لوسيا لم تكن تقاوم المرض الذي أخذ يكتسح كل جسدها بسرعة كبيرة.

«اذا استمر الحال هكذا، لن ترى والدتك الصباح» تمتمت كاميلا لجافيه الذي كان يقف خلف الباب.

كانت دونا لوسيا قد أصرت على أن يغادر ولداها غرفتها، لم تكن تريد أن يرياها في هذه الحالة المثيرة للشفقة. لم يعارض فيليب طلبها وشعر ببعض الراحة

وجلس في الصالون يروح ويجيء أحياناً ويشرب بين الحين والآخر كأس كونياك. أما جافيه، فلم يشأ مغادرة الممر حيث بقي على مرمى صوت كاميلا.

عند هبوط الليل، شعرت كاميلا أن حماتها تعيش آخر مرحلة من المرض. لقد توقف القيء وانخفضت حرارتها وتباطأ نبضها، بينما أصبحت يداها وقدماها باردة جداً.

مع ذلك، ظلت واعية جداً وكأن اقتراب أجلها منحها قوة ادراك كاملة، فأرسلت تطلب رؤية فيليب.

عندما دخل فيليب الغرفة، خرجت كاميلا وتركت الأم وحدها مع ابنها.

بقي فيليب مع والدته نصف ساعة خرج بعدها منهاراً.

«من المؤلم جداً أن نتركها تموت هكذا» قال بصوت يقطعه الحزن. «مع انها مؤمنة جداً، لكنها منعتني من الذهاب لإحضار الكاهن. انها تخشى من انتقال العدوى. أتعتقد أن عقلها لا يزال يعمل؟»

«اوه نعم!» أكدت له كاميلا. «انها واعية تماماً وتنتظر الموت بشجاعة كبيرة».

«سأعود الى الصالون. أخبراني اذا دعت الحاجة. انها تريد الآن رؤيتك أنت وجافيه».

تبادل جافيه نظرات الحزن مع زوجته ثم دخلا غرفة

المريضة وجلسا الى جانبيها.

أخذت الوالدة تنظر اليهما طويلاً.

«أنتما تعلمان» قالت أخيراً بصوت متعب. «ان أغلى أمنياتي أن تنجبا حفيداً...».

وحطت نظراتها على وجه كاميلا الشاحب.

«سأموت سعيدة اذا علمت أن أمنيتي ستتحقق».

ترددت كاميلا للحظات، لكن لم يكن بإمكانها أن تكذب على المرأة المحتضرة.

«لا... لا يمكنني أن أؤكد...» قالت متعلثمة.

والتقت نظراتها بنظرات جافيه وقرأت في عينيه رعباً أمام مثل هذا الاحتمال.

يبدو أن دونا لوسيا لاحظت تبادل نظراتهما وأنهما يخفيان عنها أمراً.

«جافيه، اذا لم تنجب، يا بني. من سيرث راتنغالا من بعدك؟ هل بنى والدك هذه الامبراطورية الواسعة كي تؤول الى الغرباء؟ الا ترى أين يكمن واجبك؟» قالت الوالدة بحزن وأمسكت يد ابنها منتظرة جوابه بقلق.

فهمت كاميلا مدى عذاب زوجها وأدركت أنه لا يمكنه أن يطمئنها بالكذب عليها.

«اذا كان خوفك من... مرضك الوراثي جعلك تفضلين الموت بالكوليرا» قال بانفعال. «فكيف يمكنك أن تطلبي مني أن أنقله لأبنائي؟ لا، أمي. لا أعتقد أن

من واجبي نقل هذا المرض اليهم».

ساد صمت طويل. ولم تجرؤ كاميلا على النظر الى حماتها. عندما قررت الوالدة الكلام، ابتسمت وقالت بهدوء:

«اذاً، يجب أن أعترف بما كنت أخفيه عنك طوال هذه السنوات» قالت بحزم. «جافيه، أنت لا تملك ولا قطرة دم واحدة من دمائي. أنت لست ابني».

«يا الهي!» صرخت كاميلا بذهول.

«مستحيل!» قال جافيه غير مصدق لما سمعه.

«بعد زواجنا» بدأت دونا لوسيا الكلام. «ذهبنا أنا ووالدك في رحلة الى أوروبا. بعد أن زرنا فرنسا وانكلترا، أقمنا لفترة في البرتغال. كنت أرغب بالتعرف على بلد أجدادي» قطعت كلامها للحظة لتستعيد أنفاسها.

«لقد تزوجني والدك من أجل ثروتي، كنت أعلم ذلك. فوالدتي توفيت قبل عام وكنت أخشى أن لا أجد عريساً... ثم أحببته بعد الزواج وسرعان ما اكتشفت أنه لا يمل المغامرات العاطفية... في البرتغال، أقام علاقة مع فتاة جميلة جداً. كان بإمكاني تجاهل الأمر لو لم تحمل تلك الفتاة منه. علمت بالأمر عندما اقتحم والدها منزلنا مهدداً بقتل ادغار... نجحنا بتهدئة غضبه خاصة وأنه كان يخشى الفضيحة، ووعدته أنا بأن أتبنى

الطفل فور ولادته وأن أربيه كابن لي في سيلان حيث لن يشك أحد بالحقيقة... الفتاة حبست نفسها في الدير، هناك ولدت أنت، جافيه...».

من جديد، عاد الصمت يخيم على الغرفة. فكر جافيه بهذا الاعتراف الغريب الذي قلب وجوده كلياً.

«وماذا حل بها؟» أراد أن يعرف: «ماذا أصابها؟».

«والدتك الحقيقية؟ بقيت في الدير وتوفيت فيه بعد عدة أعوام. لن أخبرك باسمها لأنني أقسمت لوالدها أن لا يعرف أحد هذه الحقيقة. المهم فقط أن تعلم انها ابنة عائلة نبيلة يشرفك الانتساب اليها».

«لا أريد معرفة أكثر من ذلك.» أكد لها جافيه. «ان أمي الحقيقة هي أنت. ولكنك الآن، نزعت عن قلبي حملاً كبيراً بكشفك عن هذه الحقيقة، وسأكون ممتناً لك طوال حياتي».

«لا ضرورة للإمتنان يا بني. لقد أحببتك منذ اللحظة التي حملتك فيها بين ذراعي. لطالما كنت ابني المفضل. غريب كيف انني لطالما كنت أشعر بأنك أقرب اليّ من ولدي. مع الوقت، سيبدأ الناس بالاعتقاد بأن دم عائلتي أصبح نقياً لا يحمل إرث الجنون... لقد أخطأت بالاحتفاظ بهذا السر طويلاً... لكن كبريائي كان يمنعني... أنت تفهم. أليس كذلك؟».

كان نظرها قد بدأ يتشوش وصوتها يضعف.

«سنحتفظ بالسر، أمي، أنا وكاميلا، ولن يعرف أحد به، إلا اذا عاند أحد أبنائنا في المستقبل وامتنع عن الاقتران بزوجته كما فعلت أنا. في هذه الحالة فقط سأقول الحقيقة. لن أسمح لابني أبداً، مهما كان الثمن، أن يعذب زوجته كما عذبت أنا زوجتي وتعذبت».

عضت كاميلا على شفتيها كي لا تبكي. بالتأكيد، جافيه جرح كبريائها وعذبها، لكن كان ذلك بدافع الحب ولا يمكنها أن تلومه. ثم، ألم تعش معه لحظات الحب الرائعة؟.

«أشعر بالبرد» تمتمت دونا لوسيا بضعف. «جافيه، ناد على لولا لتأتي وتشعل النار في المدفأة».

وضعت كاميلا يدها على يد زوجها.

«لا يمكننا أن نفعل لها شيئاً آخر. اذهب، جافيه، دعني معها. سأطلبك اذا لزم الأمر».

سهرت كاميلا ولولا على المرأة المحتضرة طوال الليل، كانت دونا لوسيا قد غرقت في الغيبوبة حتى طلع الصباح فلفظت أنفاسها الأخيرة.

خرجت كاميلا من الغرفة تاركة لولا تبكي سيدتها بحرقة وألم.

كان فيليب نائماً بعمق في الصالون وزجاجة الكونياك الفارغة الى جانبه. لا ضرورة لإيقاظه الآن، قالت

كاميلا لنفسها. من الأفضل أن يكون قد عاد لوعيه عند ابلاغه بالخبر التعيس.

وجدت كاميلا زوجها على الشرفة. كان المطر قد توقف والشمس تشرق خجولة فوق التلال. انضمت الى زوجها ووضعت يدها على كتفه بهدوء. التفت بسرعة نحوها ونظر اليها متسائلاً.

«نعم، يا عزيزي... توفيت بسلام...».

«كانت هذه رغبتها» قال متنهداً. «كيف لا نسعد من أجلها».

وقفا معاً ينظران الى شروق يوم جديد على هذه المزارع وعلى حياتهما الجديدة.

فجأة، امتلأ قلب كاميلا بحب هذه الأرض وهذا الرجل الذي عرف كيف يفتح لها أبواب الجنة الأرضية. رفعت عينيها نحوه. كأن جافيه أدرك أفكارها، فضمها بين ذراعيه بقوة.

«اوه، يا حبيبتي» قال بصوت تقطعه الرغبة. «كاميلا، يا كنزي الثمين! الآن، أصبحت حراً، وأصبح بإمكاني أن أحبك بدون خوف. لم يعد هناك ما يمنع من أن تكوني زوجتي قولاً وفعلاً».

«لكنني زوجتك، جافيه» قالت بابتسامة مشرقة، «أنا لك دائماً».

بسعادة كبيرة، حمل جافيه سيدة المنزل الجديدة بين

ذراعيه ودخل غرفتهما ليغلق الباب وراءه بكتفه ولينفذ وصية دونا لوسيا. . .

www.rewity.com
^RAYAHEEN^